الكتاب الثالث

سلسلة

درة التاج الثقافة

# كيف تكونين مثقفةً فكراً وعملاً وسلوكاً؟

د. أكرم رضا

درة التاج

الثقافة

المرأة وإدارة الذات

(٤)

# درة التاج الثقافة

## كيف تكونين مثقفةً فكراً وعملا وسلوكاً؟

د. أكرم رضا

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٢٦-٢٠٠٥

رقم الإيداع :
٢٠٤٨٥/٢٠٠٤
الرقيم الدولي: I.S.B.N
977-265-573-X

إخراج فني: عبد الحميد عمر.
مراجعة وتحقيق: محمد عبد المعطي.
رسوم داخلية/ مجدي بكري

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت : ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة : ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

# الإهداء

إلـــــى....

صاحبة لواء العفة ...

وقائدة مسيرة نهضة النساء في العصر الحديث...

إلى أم توحيدة ...

عائشة التيمورية.[١]

حتى لا يتاجر أحدٌ بعطائها

د أكرم رضا

(١) انظري مسيرتها في نهاية الكتاب.

# محتويات الكتاب


**مدخل: معنى الثقافة وأهميتها.**

**الباب الأول: محو الأمية الدينية (أسس ومبادئ ثقافة الفكر).**

الفصل الأول: معنى الدين.

الفصل الثاني: معنى الإسلام.

الفصل الثالث: دورك كإنسانة، وواجبك نحو دينك.

الفصل الرابع: أن تدركي أن الإسلام دين شامل ومنهج حياة.

الفصل الخامس: أن تعرفي ما يُحَاكُ ضد الإسلام.

**الباب الثاني: أركان ثقافة الفكر.**

الفصل الأول: ثقافة شرعية.

الفصل الثاني: ثقافة الحياة.

**الباب الثالث: ضوابط ثقافة الفكر.**

الفصل الأول: واجبات وآداب طالب العلم.

الفصل الثاني: ركائز فقه الاختلاف.

**ضيفة الشرف: عائشة التيمورية**

# مُقَدِّمَة

**هذا هو الكتاب الثالث في هذه المنظومة المباركة من سلسلة (المرأة وإدارة الذات).**

في الكتاب الأول تعاملنا مع المرأة كجسد قويٍّ موفور الصحة؛ حتى لا يعوق انطلاقها عجزٌ أو نقص، فدعوناها أن تجدد السفينة، وتكون **(قوية الجسم)**.

وفي الكتاب الثاني والثالث غرسنا نبتة الخلق في قلب المرأة؛ حتى نعلي مِنْ شأنها، ونضعها في المكانة التي ترجوها في المجتمع، وجعلنا أدوات سيرها الواثق أن تكون **(متينة الخلق)**، وكان على جزأين، يتضمنان عشرة أخلاق.

وفي هذا الكتاب الرابع **ندعوها أن تكون (مثقفة الفكر)؛ حيث سيكون مجال سعينا هو عقلها؛ نرتِّب وننظِّم، ونضع الضوابط؛ لنصل به إلى الثقافة، ثم العلم، ثم الفَهْم والفقه.**

ونعود لنذكر أن خطابنا للمرأة المسلمة ينبع من إيماننا بأنها الركن الأساسي في مسيرة الانطلاق، وحجر الزاوية في بناء المجتمع المسلم الذي نرجوه، وأن كلَّ دورٍ من أدوارها في الحياة يحتاج منا إلى صيانة ورعاية.

وينبع - أيضًا - من اعترافنا بأننا قصَّرنا في حقّها كثيرًا، وجعلنا من العادات والتقاليد - البعيدة عن روح شريعتنا - جدرانًا حالت بينها وبين الانطلاق، فلما دَبَّ الضعف في حارسها الأحمق حُطِّمَتِ الجدران فتلقفتها أيدي الذئاب، فأصبحوا رعاتها.. ويا ويلنا عندما ترعى الذئاب الغنم، ويا ويلنا عندما يدب الضعف في جسد راعيها الذي غفل مِنْ قبل عن حقٍّ رعايتها.

والنتيجة تتحدث مِنْ حولنا في أجيال من النساء، إذا لم ندركها فلن ينفع الندم.

من أجل ذلك كله كان خطابنا للمرأة، وكانت دعوتنا لها أن تبدأ في (إدارة الذات).

أما المنهج فلن نختلف عليه فهو ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٣].

د. أكرم رضا

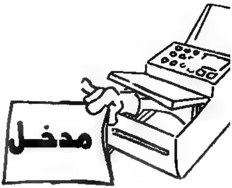


# معنى الثقافة وأهميتها

**الثقافة**: تعني الفطنة.

ويعرِّفها المفكرون بأنها تلك العناصر التي تطبع سلوك الإنسان توجهه بطريقة لا شعورية.

ومن العناصر الأساسية التي تُكَوِّنُ الثقافة: العقائد والأخلاق الفنون والعبادات والتقاليد والأفكار.

وقد يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الثقافة لأول مرة أنها مجموعة المعارف التي اكتسبها إنسان». وهي هنا تساوي العلم في فهومه العام.

وهذه التعريفات الثلاثة - اللغوي: بمعنى الفطنة، والفكري: معني عناصر التوجيه، والواقعي: بمعني العلم - هي التي نقصدها؛ كي تكون المرأة (مثقفة الفكر)؛ حيث يتوفر لديها كَمٌّ مِنَ العلمِ لمنضبطِ، كافيًا لأن يوجِّه سلوكياتها ووعيها وفكرها لأن تكون فطنة لِمَا يدور حولها.

وعلى هذا تكون ثقافة الفكر هنا بمعني (الفهم) الذي هو أعلى من مجرد المعرفة أو العلم.

ولذلك لَمَّا فَصَلَ سليمان في القضية التي عُرِضَتْ عليه وعلى والده داود - عليهما السلام - قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

فاشترك الاثنان في العلم، ولكن زاد الله سليمان ميزة؛ وهي فهم هذا العلم.

## العلم باب الثقافة

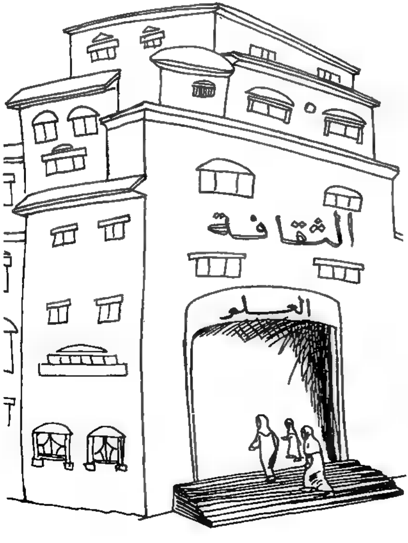


ولا يختلف اثنان أن العلم هو الطريق الموصِّلة إلى كل خير، وقد اهتم الإسلام بالعلم، وجعله مقدمة وبداية للسير على طريق الله؛ فكانت أول كلمة تنزل على نبينا محمد ﷺ من القرآن هي: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]

وليست أي قراءة، ولكنها قراءة منضبطة على اسم الله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

«ففي أول لحظة من لحظات اتصال الأرض بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطوات طريق الدعوة يؤمر الرسول ﷺ بالقراءة، وتبرز حقيقة التعليم؛ تعليم الرب للإنسان بالقلم، أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا في حياة الإنسان، ثم يبرز مصدر التعليم؛ إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه»(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

«فالعلم الحق هو المعرفة، هو إدراك الحق، هو تفتح البصيرة، هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود. وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس»(٢).

---

(١) (في ظلال القرآن)، للشهيد سيد قطب، ج ٦ ص ٣٩٣٨، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الحادية عشرة – ١٩٨٥م.

(٢) المرجع السابق، ج ٥ ص ٣٠٤٢.

## مشكلات عدم الثقافة

وللحق، أن كثيرًا من مشكلاتنا في علاقتنا مع الله هي عدم إدراكنا لأهمية العلم والمعرفة والثقافة، وغالبًا ما يكون الإفراط والتفريط بسبب قلة العلم والفقر الثقافي.

فكثيرات مِمَّن توجهن إلى القبور يستعنَّ بأولياء الله فيها لو علمن أن الله - سبحانه وتعالى - نهى عن ذلك، وأن الرسول ﷺ عدَّه من الشرك الأكبر لَمَا فعلن ذلك.

واللاتي يتعاملن مع الأحجبة والسحر والكهانة، لو علمن أن الله لا يقبل صلاة مَنْ يفعل ذلك ما فعلن.

وأولئك اللاتي يفرِّطن في ستر عوراتهن، فيخرجن مكشوفات،

مُرْسِـلات الشـعور أو عاريـات الجسـد، أو مزينـات الملابـس، أو معطرات، لو علمن أن هذا حرام ما فعلن.

وتلك التي لا تعرف معنى الإسلام، وأنه الاستسلام لله (سبحانه وتعالى)، لو عرفت لأدركت دورها في هذه الدنيا، وأنها مطالبة بعبادة الله في كلِّ تصرفاتها، والتوجه إليه في كل أعمالها، لـو علمـت ذلـك كله لأصبحت مسلمة بحق، لا تسأل إلا الله ورسوله عن دينها وعـن حياتها وعن علاقاتها؛ هذا في جانب.

**وفي جانب آخر**:

تلك التي لم تجتهد في دروسها، ولم تُجِد لتصبح الطبيبـة المسـلمة والمعلّمة المسلمة بحجـة أن الإسـلام يكتفـي مـن المـرأة أن تمكـث في بيتها، وتربي أولادها وفقط.

لو تعلمت لعلمت أن للمرأة المسلمة دورًا في المجتمع أي دور.

**وتلك التي تظـن أن الـدين هـو مجـرد إحكـام الملابس على الجسم، وأداء الصـلوات والفـروض، أما الدعوة إلى الله، وتعلـيم الغـير فإنـه لـيس مـن واجبها، أيضًا لو تعلمـت لانطلقـت تـدعو غيرهـا إلى الخير.**

وتلك التي لم تأخذ من الإسلام إلا كيف تأكل، وكيف تشرب، وتخاصم على لون الثوب، والنفخ في الطعام، ودخول الحائض المسجد، وفي الوقت نفسه نجدها تعامل والديها بقسوة وغلظة، وتعامل أخواتها بعنف، ولا تطيع زوجها في كثير من الأمور. لو تعلمت لفقهت الفروض والواجبات والسنن والمستحبات.

إنه العلم الذي جعله الله قبل العمل؛ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فتقدم العلم على العمل؛ وهو الاستغفار.

## مقامـــــات :

يقول الإمام أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء: «إن الطريق إلى مقامات الدين على ثلاث مراحل: (العلم والحال والعمل).

فالعلم يورث الحال، والحال يدفع إلى العمل، فالإنسان يعرف ويدرك، فيتأثر وينفعل، فينزع ويريد.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

فهي خطوات: علم، ثم إيمان، ثم إخبات.

## العلم قبل العمل:

وأنتِ ـ أختي المسلمة ـ أحببتِ ربك، وأحببت نبيك، وأدركتِ أنه لا نجاة ولا فلاح إلا بأن تكوني طوع أمرهما؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وبدأت في البحث عن أوامر الله بشكل من أشكال التقليد، فترين هذه تفعل كذا فتقلدينها، وتلك تقول كذا فتقلديها؛ ويصبح دينك مجموعة من وجهات نظر أقرانك، ويقوى الإيمان في قلبك، فيبعث فيك الحركة والعمل لله، ويؤخر الشيطان العلم عنك ويصرفك عنه، فتعملين بلا علم.

يقول عمر بن عبد العزيز: «**العامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح**».

ويقول الحسن البصري: «**العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ**».

يقصد الخوارج الذين كانوا يعبدون الله عبادة يرى الإنسان نفسه أمامها قليل، ولكنهم لم يتعلموا ولم يتأدبوا بأدب العلم، فخرجوا على المسلمين يقتلون وينهبون.

## الرســــول ﷺ والعلــــم

ولذلك بَيَّنَتِ السُّنَّة الفضلَ العظيمَ للعلمِ...

قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».(١)

وعن رسول الله ﷺ قال: «فَضْـلُ الْعَـالِمِ عَلَـى الْعَابِـدِ كَفَضْـلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ».(٢)

قال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًـا سَـهَّلَ اللَّـهُ لَـهُ بِـهِ طَرِيقًــا إِلَــى الْجَنَّــةِ، وَمَــا اجْتَمَعَ قَـوْمٌ فِـي بَيْتٍ مِـنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُـونَهُ بَيْـنَهُمْ إِلا نَزَلَـتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّـهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».(٣)

(١) رواه البخاري، كتاب (العلم)، باب: (من يرد به الله خيراً يفقهه في الدين).
(٢) رواه الترمذي، كتاب (العلم)، باب: (ما جاء في فضل الفقه على العبادة).
(٣) رواه مسلم، كتاب: (الذكر والدعاء)، باب: (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ».(١)

ويَقُولُ ﷺ: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».(٢)

## الكلب المتعلم

ومن ألطف المعاني حول العلم ما ذكره الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه (ثقافة الداعية) حول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: «حسن صحيح». كتاب (العلم)، باب: (ما جاء في فضل الفقه على العبادة).

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب (المقدمة)، باب: (فضل العلماء والحث على طلب العلم).

«فقد امتاز الكلب المتعلِّم على أيِّ كلب آخر بأنه يجوز أن تأكل ما أمسكه بفمه، وبهذا يرفع العلم قدرَ المتعلِّم ولو كان كلبًا».

## العلم والعمل

**وأخيرًا**: فإن كان العمل بلا علم يؤدي إلى الزَّلَل والإفراط أو التفريط، فإن العلمَ بلا عمل هو افتقادٌ لروحِ العِلْمِ وحياته.

ويصف الله تعالى حال من يحمل علمًا ولا يعمل به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

ولذلك قال رجل لآخر لا يعمل بما يعلم: «يا هذا؛ إذا أمضيتَ عمرك في جمع السلاحِ فَمَنْ تُحَارِبُ به؟».

ومَنْ نَفَعَ غيرَه بعلم ولم يستفدْ، فهو كدفتر يقيد فيه ولا يستفيد؛ ولذلك نادى الشاعر أحدهم في لوم شديد، فقال:

يا حَجَرَ السَّنِّ حتى متى تَسِنُّ الحديدَ ولا تقطع

## علم الدنيا

وقضية أخرى قد يخطئ في فهمها كثيرٌ مِمَّن يسيرون على درب العلم؛ وهي التفريق بين علم الدين وعلم الدنيا.

أقول: إن الله أمر بعضَ الأمةِ أن يتفرَّغوا للعلم وللفقه في الدين

والإنذار، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

ولقد أنكر الإمام الغزالي على أهل زمانه توجه جمهور متعلميهم إلى الفقه ونحوه، على حين لا يوجد في بلد من بلدان المسلمين إلا طبيب يهودي أو نصراني يُوكَّل إليه علاج المسلمين والمسلمات، وتوضع بين يديه الأرواح والعورات.

هذا رأيُ الغزالي في القرن الخامس الهجري، فماذا لو نظر إلى حال المسلمين اليوم؟! حيث نجد تأخرًا في علم الدنيا، وإعراض عن علوم الدين.

## من هم العلماء؟

وانظري معي إلى ثناء الله على العلماء بالخشية، والتي حصرها عليهم عندما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

هذه الآية جاءت خاتمة لآية طويلة من سورة فاطر، فعن ماذا تكلمت تلك الآية الطويلة التي ذُيِّلَتْ بهذا المدح والتقدير، وأي علماء هم الذين يتميزون عن غيرهم بخشية حقيقية لله، اقرئي معي الآية الآن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ

إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر: ٢٨ - ٢٩]

هكذا؛ حديث عن علوم الأرض والسماء والجبال والأحياء، ثم تعلق بالثناء على العلماء؛ حتى يتبين لنا أنه لا فاصل بين علوم الدنيا التي تُوَلِّد الخشية وعلوم الدين.. وينبغي ألا يكون هذا الفصل موجودًا في ضمير أي مسلمة تفهم دينها حق الفهم، وتسعى للعلم.

**لقد التقطت صحابيات رسول الله ﷺ هذا الإلحاح والحث من رسول الله ﷺ على طلب العلم، وانفعلت به نفوسهن فطلبن منه ﷺ مجلسًا خاصًا لتعلم العلم زيادة على المجلس العام الذي يجتمعن فيه مع الرجال.**

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ؛ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ». (١)

وكان هذا الحرص على طلب العلم سمة من سمات حياة الصحابيات؛ وخاصة نساء الأنصار، حتى إن السيدة عائشة -رضي

(١) رواه البخاري، كتاب (الاعتصام بالكتاب)، باب: (تعليم النبي أمته من الرجال والنساء ما علمه الله).

الله عنها - قالت عنهن: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ».[1]

ومن هنا قال العلماء: «ويجب عليهن - أي النساء - الإسراع للتفقه في الدين، كوجوبه على الرجال، وفَرْضٌ عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس كالرجال ولا فرق»

ولم يقف الأمر لدى الصحابيات عند تعلم ما يجب عليهن من أحكام الدين فحسب، ولكن تعدى الأمر بهن إلى الإلمام بعلوم أخرى والتفوق فيها، فجاء في (فتوح البلدان) للبلاذري أن أمَّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى (الشفاء العدوية)، فلما تزوجها ﷺ طلب من الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة.

وعن عروة بن الزبير قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بِطِبٍّ ولا بشِعْرٍ من عائشة رضي الله عنها».

وذكر ابن عبد البر - رحمه الله -: «أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر»

---

(١) رواه مسلم، كتاب (الحيض)، باب: (تعليم النبي أمته من الرجال والنساء ما علمه الله).

واستمرت مسيرة الأمة، وبرزن من النساء المسلمات في جميع العصور مَنْ فاقتِ الرجال في العلوم والفنون والآداب، حتى جاءت عصور كان تعليم المرأة فيها من المكروهات؛ بل المحرمات، وأُغْلِقَتْ أمامها الأبواب، فتعطَّل شطر الأمة بسبب عدم الاستعمال أو سوء الاستعمال، وأصبح الطريق ممهدًا لكل ميكروب ثقافي للدخول إلى أمتنا؛ لأن الماء الراكد يكثر عَطَنُه، والعفن لا يتسرب إلى جسد حي.

وظهرت دعوات إخراج المرأة إلى الحياة، ولكن أي حياة؟! لقد تنكرت تلك الدعوات لمنهج الإسلام، ووجدت الفرصة سانحة لإقناع النساء بأن حبسهن في البيوت، وفَرْضَ الحجابِ عليهن، وجعلهن مواطنات درجة ثانية، والتقليل من شأنهن كان تحت مظلة الإسلام، فليتحررن إذًا، وأول ما يتحررن منه الإسلام نفسه؛ كمنهج للسلوك والقيم والمبادئ.

وفي غفوة من حُرَّاسِ الشريعة (العلماء) تسربت المفاهيم كتسرب اللص السارق بِلَيل، فلم يجدوا أنفسهم - بعد يقظة - إلا وهو جاثم على صدورهم، كاتم على أنفاسهم.

حتى أراد الله شيئًا، وعاد الإسلام من جديد؛ منتصرًا انتصارًا ذاتيًّا؛ ليعلن أنه متوجه إلى القمة، فمن أراد أن يرتقي فليركب ركبه، وليتابع سيره.

**فلا بُدَّ أن نعيد صياغة نظرتنا إلى المرأة على أساس من الإسلام، ووجدنا البداية (أن تكون مثقفة)؛ تدرك ما لها وما عليها، وهذا ما أردناه. إن من خطوات المرأة على طريق إدارة الذات أن تكون (مثقفة الفكر).**

نحن ـ أختي المسلمة ـ نريد بثقافة الفكر أن تكون المبادئ الأساسية **لعلاقتك** مع الله ومع نفسك ومع الناس واضحة في ذهنك.

- العلم باب الثقافة ووسيلتها.
- الفقر الثقافي يؤدي إلى الكثير من المشكلات في التعامل مع الله، ومع النفس، ومع الناس.
- لا يجب أن يكون هناك فرق بين فضل علم الدنيا وعلم الدين في نفسية المسلم؛ فكلاهما طريق لرضا الله، والأصل هو النية.
- ثقافة الفكر تعني أن تكون مبادئ التعامل في الحياة مع الله ومع النفس ومع الناس واضحة في ذهن كل مسلم ومسلمة.

# الباب الأول

# محو الأمية الدينية

## أسس ومبادئ ثقافة الفكر

بين دعاة تحليل المرأة من كل القيم، ودعاة تجهيل المرأة يقف المسلم المنصف حائرًا، ولا يجد سبيلا إلا الدعوة إلى (تثقيف المرأة)، وهذه الدعوة لا بُدَّ أن تنبع من النساء أنفسهن؛ حتى تعلم كل امرأة أنها مُطَالَبَة بكل ما يُطَالَب به الرجال من العلم والثقافة والفهم في كافة المجالات، وعلى رأس هذه المجالات أن تتعلم علاقتها الصحيحة مع الله.

وما نراه أنه مبادئ أساسية في ثقافة الفكر، وزاد قليل يدفع على طريق الإيمان والعمل، نعرض عليك المبادئ الخمسة التالية:

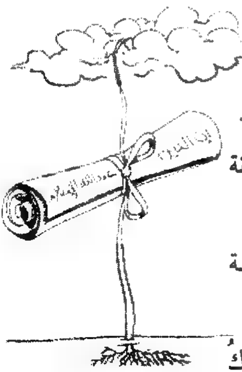

١- أن تعرفي معنى الدين.

٢- أن تعرفي معنى الإسلام.

٣- أن تعرفي دورك كإنسانة وواجبك نحو الدين.

٤- أن تدركي شمولية الإسلام وأنه منهج حياة.

٥- أن تتعرفي على ما يُحَاكُ ضد الإسلام.

# الفصل الأول

# معنى الدين

**أختي المسلمة**: بالتجول في القرآن الكريم، نتعرف على مفهوم كلمة الدين:

## أولاً: الدين طاعة إله

نجد أن الدين كلمة تطلق على علاقة الطاعة بين الإنسان وبين إلهٍ يتخذه غاية، يتوجه إليه بقلبه وجوارحه، حتى وإن كانت هذه العلاقة غير سليمة، وكان هذا الإله باطلا!

يقول تعالى عن أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] فَسَمَّى ما عندهم دينًا رغم بطلانه.

والكافرون أصحاب التصورات الخاطئة عن يـوم القيامـة سَـمَّى الله مبادئهـم وعقائدهم دينًا أيضًا:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[آل عمران: ٢٤].

## ثانياً: الدين الخالص

وأمر الله أن يكون الـدين خالصًـا لـه؛ بمعنـى أن يكـون التوجـه بالقلـب، والـنفس، والـدعاء، والتوكـل عليـه وحـده –سـبحانه وتعالى – ولا يشرك معه أحدًا، يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ○ أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَـالِصُ وَالَّـذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَـى اللهِ زُلْفَـى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُـوَ كَـاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٢-٣].

وقال تعـالى: ﴿هُـوَ الَّـذِي يُسَيِّرُكُمْ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ حَتَّـى إِذَا كُنْـتُمْ فِـي الْفُلْـكِ وَجَـرَيْنَ بِهِـم بِـرِيحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـوا بِهَـا جَاءَتْهَـا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُـمْ أُحِـيطَ بِهِـمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ لَـئِنْ أَنْجَيْتَنَـا مِـنْ هَـذِهِ لَنَكُـونَنَّ مِـنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله –: «دعوا الله مخلصين له الـدين؛ أي لا يدعون معه صنمًا ولا وثنًا، بل يفردونه بالدعاء والابتهال».

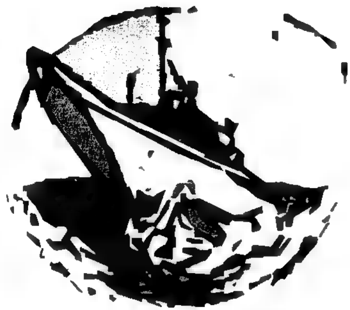

ففي البحر حيث السماء والماء، ولا أمل ولا وسيلة للنجاة إلا الإله الحق الذي تعرفه فطرة الإنسان حقَّ المعرفة، فينسى كلُّ إنسان ما يعبد ويشرك من دون الله، ولا يذكر إلا الله، فيتوجه إليه مخلصًا له الدين، مخلصًا له التوجه، مخلصًا له القلب، مخلصًا له الدعاء، مخلصًا له الرجاء، وليس هناك في القلب أي شريك.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

فهذا هو الدين الذي يريده الله؛ الدين الخالص من أي شائبة من شرك، أما أي دين آخر فهو باطل.

## ثالثاً: الدين الحق.

ولذلك سماه الله –تعالى– الدين الحق قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ

وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩].

وتدلنا هذه الآية إلى أن ما عليه الذين أوتوا الكتاب - أي: اليهود والنصارى - من دين ليس دين الحق؛ وذلك لأنهم:

**أولا:** لا يؤمنون بالله.

**ثانيًا:** لا يؤمنون باليوم الآخر.

**ثالثًا:** لا يحرمون ما حرَّم الله.

**رابعًا:** لا يحرمون ما حرم رسول الله ﷺ.

وكأن عناصر الدين الحق هي تلك الأربعة المتمثلة في أمرين:

**أولهما**: قلبي؛ وهو الإيمان بالغيب (الله واليوم الآخر).

**والثاني**: عملي؛ وهو اتباع شرع الله، وسنة رسوله ﷺ.

وهذا الدين الحق هو الذي أرسل الله به رسوله ليظهره على أي دين آخر.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

فالدين الحق سيظهر على كلِّ الأديان الباطلة الأخرى، والتي اتباعها ليسوا على الحق؛ لأنهم يشركون مع الله آلهة أخرى من الأصنام والأوثان والطواغيت والهوى وذلك في القلب والعمل كما بينا.

## رابعاً: الدين القيم.

فهو الدين الخالص والدين الحق، كما أنه الدين القَيِّم.

في دعوة يوسف - عليه السلام - لصاحبيه في السجن تعريف جميل بالدين؛ يقول الله - تعالى - على لسان يوسف (عليه السلام):

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۞ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[يوسف: ٣٧ - ٣٨].

وَالْمِلَّة بمعنى الدين.

فملة هؤلاء القوم تركها يوسف لأنهم:

**أولا**: لا يؤمنون بالله.

**ثانيًا**: هم بالآخرة هم كافرون.

والملة التي اتبعها يوسف هي:

**أولا**: ملة آبائه؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإبراهيم أبو الأنبياء (عليهم السلام)، وإسحاق ابنه، ويعقوب حفيده، وهو أبو يوسف.

**ثانيًا**: إن يوسف ينفي عن نفسه وعن آبائه هؤلاء أن يشركوا

بالله من شيء. فملة هؤلاء القوم - التي تركها يوسف - هي الشرك بالله.

ثم يكمل يوسف خطابه لصاحبي السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

لقد وضحت عقيدة يوسف وظهر دينه ـ الذي يخالف به دين هؤلاء القوم - فدينهم يقوم على أرباب متفرقون، أما دينه فيقوم على عبادة رب واحد وإله واحد هو الله الواحد القهار، الذي ذَلَّ كلُّ شيء لعزِّ جلاله، وعظيم سلطانه.

ثم يبين يوسف - عليه السلام - فساد هذا الدين وتلك الملة التي يتبعها قومُ أصحابِ السجن في مقابل دينه الذي يدعوهم إليه وهو الدين القيم

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

**إذن فما هو الدين القيم؟**

هو كما بيَّن يوسف - عليه السلام - لصاحبي السجن: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ﴾.

ثم يبين سيدنا يوسف شكلا من أشكال العبادة لله؛ وهو ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ أي التصرف والمشيئة والملك كله لله، فإذا جعلت قوانين حياتك، ونظم علاقاتك بينك وبين نفسك، وبينك وبين الله لا تسير وفق ما يريده الله ومشيئته، فإن هذا الدين ليس الدين القيم.

فالدين القيم أن تسأل الله في كل أمر من أمورك؛ ليحكم لك فيه ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]

يقول ابن كثير في التفسير: «أي: هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله، وإخلاص العمل، هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، وأنزل به الحجة، والبرهان الذي يحبه ويرضاه».

## والجــزاء

هذا الدين القيم، ما جزاء مَنْ يتبعه؟

يقول تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ۝ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[الروم: ٤٣ – ٤٤].

يقول ابن كثير: «يقول تعالى آمرًا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في

طاعته والمبادرة إلى الخيرات: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ الْقَيِّمِ﴾[الروم: ٤٣].

ثم فَصَلَ الفريقين يوم القيامة؛ فريق ﴿الدِّينَ الْقَيِّمِ﴾، وهو فريق الذين عملوا الصالحات، وفريق ﴿مَن كَفَرَ﴾؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥].

## فطرة الله

وهذا الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

## ملامح الدين القيم

ومن أهم ملامح أصحاب هذا الدين القيم أنهم: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الروم:٣١].

١ – رجوع إلى الله.

٢ – إنابة وخوف من الله.

٣ – وتقوى وطاعة لله.

٤ – إقام الصلاة.

٥ – ولا يشركون مع الله أحدًا ـ أيَّ أحد ـ لا بقلوبهم، ولا في أعمالهم.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: فسدد وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية – ملة إبراهيم –، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت – مع ذلك – ملازم لفطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها؛ فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره».

## خامساً: دين الأنبياء

وهذا الدين الخالص، الدين الحق، الدين القيم هو دين الأنبياء جميعًا منذ أن خلق الله آدم حتى بعثة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣].

يقول ابن كثير:

«فذكر سبحانه أول الرسل بعد آدم وهو نوح ﷺ، وآخرهم محمد ﷺ، ثم ذكر بين ذلك أولي العزم؛ وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم».

## سادسًا: الميثاق الغليظ

وهذا الدين هو الميثاق الغليظ الذي أخذه الله - سبحانه وتعالى - على الأنبياء؛ يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وأتباعهم هم الصادقون، ومَنْ خالفهم هم الكافرون.

﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
[الأحزاب: ٨]

أما دين الأنبياء - هذا الميثاق الغليظ - فهو أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركون به أحدًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

فهو دين الأنبياء جميعًا الذي حمله إبراهيم وقام به، وجاءت من ذريته النبوة، ولذلك أمر الله -تعالى - نبيه أن يقول للمشركين حوله:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

فكان دين إبراهيم هو توحيد الله وحده، فلم يكن من المشركين به سبحانه.

## سابعًا: الإسلام.

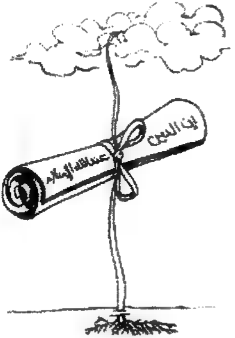


وهذا الدين الحق - الدين القيم - الذي أمر الله أن يكون خالصًا له لا تشوبه أية شائبة من شرك، والذي يقوم على أمرين مهمين كما وَضَّح يوسف (عليه السلام) لصاحبي السجن:

**الأول**: الإيمان بالغيب؛ بالله، وملائكته، واليوم الآخر،...

**الثاني**: الطاعة لأوامر الله؛ في عبادات ومعاملات وقوانين وشرائع.

هذا الدين ـ الذي هو دين الأنبياء جميعًا من آدم وحتى نبينا محمد ﷺ، والذي حمله إبراهيم، وكانت النبوة من ذريته بعد ذلك - اسمه (الإسلام)، فهؤلاء الأنبياء عندما يدعون قومهم إلى

الدين الحق ـ الذي ارتضاه الله لهم ـ بماذا يسمونه؟

هذا نوح (عليه السلام) يقول لقومه:

**﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام: ٧٩].

وهذه ملة إبراهيم يبينها الله (تعالى) فيقول: **﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

وهذا إبراهيم يوصي أبناءه بهذا الدين، وكذلك يوصي يعقوب بنيه مِنْ بعده؛ يقول تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[البقرة:١٣٢].

أما يوسف فكان دعاؤه: **﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** [يوسف: ١٠١]

وموسى ينصح قومه: **﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾** [يونس: ٨٤]

والربانيون من أتباع التوراة؛ يقول تعالى عنهم: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا**

وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

والحواريون حول عيسى أخبر عنهم الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[المائدة:١١١].

فكل الأنبياء أمروا بالإسلام ودعوا قومهم إلى الإسلام؛ لأنه الدين القيم.

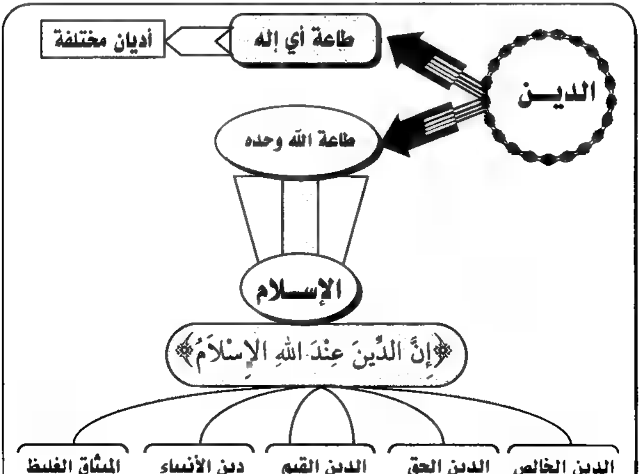

## ثامناً: لا إله إلا الله

وهذا الإسلام ـ الذي هو دين الأنبياء جميعًا ـ معناه ببساطة شديدة ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

ولذلك أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يُبَيِّنَ دينه وربَّه بهذه الآيات من سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٣].

## تاسعاً: غير الإسلام

ثم إن الله أمر نبيه محمدًا أن يتبرأ مِنْ كلِّ دين إلا دين الإسلام، وأن يُظْهِرَ دائمًا معاداته وكرهه وبغضه لأى دين يخالف دين الإسلام الذي هو الدين الحق، وأن ينادي في الناس دائمًا:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا».(١)

ولما أراد المشركون أن يساوموا محمدًا على هذه العقيدة؛ أن

(١) رواه أحمد، (مسند المكيين)، باب: (باقي المسند السابق).

يعبدوا الله يومًا ويعبد محمد آلهتهم يومًا، أمره الله أن يجيبهم بهذه الإجابة الحاسمة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

هكذا بالتكرار؛ للتوكيد؛ التأكيد على أنهم لهم دينهم وهو الكفر، وهو -أي الرسول الكريم - له دين؛ وهو الإسلام، ولن يجتمع الدينان في قلب واحد أبدًا.

يقول سيد قطب -رحمه الله -: «لم يكن العرب يجحدون الله بالكلية وينكرون وجوده، ولكن كانوا لا يعرفونه حق المعرفة، فكانوا يعبدون أصنامًا معه ترمز عندهم إلى الأسلاف والصالحين، وأحيانًا الملائكة، ولا يقولون هي الله بل تقربهم إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣].

فلما جاء رسول الله ﷺ ليقول أنه على ملة إبراهيم ظنوا أنهم يستطيعون أن يقربوا المسافة مع محمد، فقالوا له: نعبد إلهك يومًا وتعبد آلهتنا يومًا»[(١)].

ولهذا يستنكر القرآن عليهم أن يتبعوا غير دين الله، وهو الإسلام، الذي هو أصل علاقة الكون كله بالله.

(١) (في ظلال القرآن) ج ٦ ص ٣٩٩٠.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ولذلك كانت الآية التالية هي الإعلان التام للدين في قلوب المسلمين؛ إعلان عن دراية لمفهوم الدين ومصدره وتاريخه ومعالمه وملامحه ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ثم يبين الله عدم رضاه عن أي شكل من أشكال الاعتقاد إلا ما كان تحت لواء الإسلام، وما بينه الإسلام، وما جاء به الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

**عاشرًا: إن الدين عند الله الإسلام.**

إن هذا الدين الذي هو الطاعة والانصياع والاتباع، والذي يرضاه الله لعباده هو الإسلام، وأن غيره مِمَّا يسمى دين، والقائم على طاعة غير الله من الكَهَنَة أو القَسَاوسَة أو الرُّهبان ليس بدين، ولكنه باطل لا يقبله الله.

يقول تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ

قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(آل عمران:١٨ - ١٩)

«وَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ وَهُوَ بِعَرَفَةَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال: وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ يَا رَبِّ»

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى دين الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين؛ حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سَدَّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمقبول؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥].

## الحادي عشر: الدين إيمان وعمل (محمد رسول الله)

- إن الدين - كما بَيَّنَ الله - هو إيمان وعمل، وإن الدين الحق هو الإيمان بالله، وهو المتمثل في قولك في شهادتك: «لا إله إلا الله». وهو العمل بما جاء به الله في كتابه من أوامر ونواهي على لسان نبيه محمد ﷺ، وهو معنى قولك: «محمد رسول الله».

فلا يكون الإنسان من أهل الدين الحق ـ وهو الإسلام ـ الذي جاء به الأنبياء حتى خاتمهم محمد ﷺ إلا إذا تحقق فيه أول ركن من أركان الإسلام؛ وهو قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ وذلك لأن من آمن بالله وحده، وجعله في قلبه، ولم يشرك معه أحدًا، ثم ذهب يحدد الحرام والحلال بنفسه؛ مثل أن يقول: إن ما حرمه العرف فهو حرام، وما أحله العرف والتقاليد فهو حلال، فإن هذا لم يحقق مقتضيات الدين الحق.

## وانظروا إلى هذه القصة:

روى الإمام أحمد، وأورده ابن كثير عن عدي بن حاتم أنه دخل على النبي ﷺ وفي عنقه صليب من فضة، والنبي ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتَّبَعُوهم، فتلك عبادتهم إياهم».

**فلا يحق لأحدٍ أن يدَّعي أنه على الدين الحق ـ الإسلام ـ وهو يتبع غير سبيل الله ورسوله في تحديد الحلال والحرام، والسلوك الذي لا بُدَّ أن يسير به في الحياة.**

ولذلك سمى الله الدين شريعة، فقال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١].

فالله – سبحانه وتعالى – هو المُشَرِّع، والدين الحق هو اتباع ما شرع وما أمر، أما اتباع غير شرع الله فهو الفساد.

ولذلك يقول الشاعر:

**وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاَّ الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا؟!**

**فالملوك يحكمون بهواهم، والأحبار والرهبان يقنعون الناس أن كلام الملوك دِينٌ؛** ولذلك يسمى الله حَدًّا من حدوده وحُكْمًا من أحكامه دينًا، فيقول عَنْ حَدِّ الزنا: ﴿**وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٢].

فالإيمان بالله الواحد الأحد دين.

واتباع النبي محمد ﷺ فيما أمر دين.

وتنفيذ أوامر الله، وطاعة نبيه ﷺ دين.

وجَعْلُ القرآن دستورًا لحياتنا، وسنة النبي ﷺ منهج التعامل بيننا وبين الله، وبين النَّاس مِنْ حولنا كل هذا دين.

قال تعالى:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه﴾ [آل عمران:٨٥]

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه لنا الله، وأكمله لنا وأتمه وأمرنا باتباعه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وهذه آخر آية نزلت مِنْ عند الله انقطع بعدها وحي السماء الذي استمر منذ خلق الله الدنيا ينزل بالدين الحق (الإسلام) على الأنبياء.

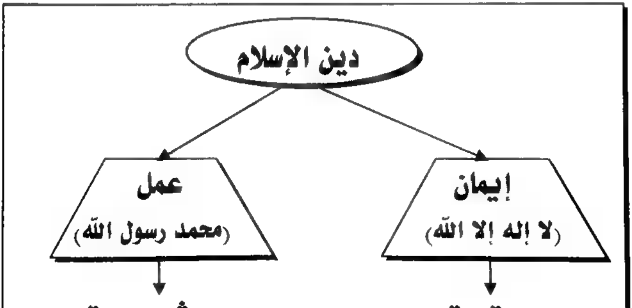

## الثاني عشر: مفهوم الدين ومكوناته.

الدين هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، أو هو مجموعة القوانين التي تحدد صفات ذلك الإله، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادته.

وإن كان كل مَنْ عَبَدَ شيئًا وجعله إلهه سَمَّى علاقته به دين كدين البوذية والبرهمية وغيرها، إلا أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام؛ دين الأنبياء الذي جاء محمد ﷺ بآخر شرائعه.

**يتكون الدين من عنصرين أو جزأين:**

**الأول**: علمي نظري، وأطلق عليه القرآن (الإيمان)، واصطلح العلماء على تسميته (العقيدة).

**الثاني**: سلوكي عملي، وأطلق عليه القرآن (العمل الصالح)، واصطلح العلماء على تسميته (الشريعة).

ولم يُذْكَرِ العنصر الإيماني في القرآن إلا ومعه العنصر الثاني (العمل الصالح)، أو شكل من أشكاله.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[يونس: ٩]

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

## والعقيدة:

هي العلم بأركان الإيمان الواردة عن رسول الله ﷺ. ويُعَرِّفها ابن تيمية في مجموع الفتاوى:

«هي الأمر الذي تَصْدُقُ به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه لا يمازجه شك، ولا يخالطه ريب، ويكتمل هذا الإيمان بأن يدفع صاحبه إلى العمل بمقتضاه، والجهاد في سبيله، وهي ما تدور حولها أركان الإيمان».

## الشريعة

هي الأحكام العملية، أو هي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها؛ ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون، وعلاقته بالحياة.

والعقيدة والشريعة متلازمتان، فلا توجد شريعة بدون عقيدة، ولا تكتمل العقيدة إلا بالشريعة.

قال ﷺ: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدقه العمل».

## العلاقة بين العقيدة والشريعة

### أولا: العقيدة أصل، والشريعة فرع.

ولذلك فإن التكليف يبدأ بالجانب العقدي، ثم يأتي بعد ذلك الجانب العملي التشريعي ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

ويقول ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ».[1]

**ثانيًا: العقيدة واحدة ثابتة** لا تختلف باختلاف الرسالات السماوية، بخلاف الشريعة فإنها تختلف في بعض التفصيلات.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فالله (تعالى) يحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء في كل شريعة اختبارًا وابتلاءً لعباده، وهو أعلم بمن يطيعه مِمَّن يعصيه فيما شرع لهم.[2]

### ثالثًا: الرسول ينسخ شريعة مَنْ قبله.

شرع الله (تعالى) لكل رسول شريعة على حِدَة، ثم نسخها أو

(١) رواه أحمد، (مسند المكيين)، باب: (حديث سفيان بن عبد الله الثقفي).

(٢) سوف يتم شرح وافي لأركان عقيدة الإسلام الستة التي يتم بها الإيمان ونواقض هذا الإيمان في الكتاب السادس من هذه السلسلة (سليمة العقيدة) للمؤلف.

بعضها برسالة الآخر ـ الذي يأتي بعده ـ حتى نُسِخَ الجميعُ بما بُعِثَ به عبده ورسوله محمد ﷺ، الذي بعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم.

روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**». (١)

يقول ابن حجر: «ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع». (٢)

وبمعرفة تلك النقاط الاثني عشر حول الدين تكون المسلمة قد خَطَتْ أولى خطواتها على طريق محو الأمية الدينية، وهو أن تعرفي معنى الدين، وخَرَجَتْ مِنْ فَخِّ التقليد في دينها الذي ذَمَّه الله في أكثر من موقع، وأصبحت تستطيع أن تقول: أنا مؤمنة عن علمٍ ويقينٍ، وليس لمجرد أن والديَّ مسلمان، وأني مسلمة في شهادة الميلاد، وتستطيع بذلك أن تنتقل إلى الخطوة الثانية.

---

(١) رواه أحمد، (باقي مسند المكثرين)، باب: (باقي المسند السابق). وإخوة لِعَلاتٍ: أي الأب واحد والأمهات مُخْتَلِفَات.

(٢) (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني، ١٣ / ٢٤٩، المكتبة السلفية - ١٩٨٥م.

**ـ الدين هو الطاعة لإله.**

**ـ الدين الحق والدين القيم قائمان على أساسين:**

١ - الإيمان بالغيب: الله، واليوم الآخر.

٢- اتباع تشريعه (أمرًا ونهيًا).

- هذا الدين الحق هو دين الأنبياء جميعًا منذ آدم (عليه السلام) أولهم، وحتى محمد ﷺ خاتمهم.

- هذا الدين الحق - الذي هو دين الأنبياء - اسمه عند الله (الإسلام).
ومَنْ يتخذ أي دين آخر غيره، أو مبادئ أخرى غير مبادئه لن يقبلها الله تعالى منه.

**ـ أهم مبادئ هذا الدين الحق (الإسلام) - وهو دين الأنبياء جميعًا ـ:**

١ - لا إله إلا الله.

٢ - الإيمان قرين العمل.

٣ - الطاعة الكاملة لله في كل ما أمر.

٤ - اتباع الرسول الخاتم محمد ﷺ.

ويلخص هذا كله الركن الأول من أركان الإسلام (الشهادة) [ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ].

# الفصل الثاني

# معنى الإسلام

في الفصل الأول تعرفنا على معنى الدين، وأنه العلاقة بين الإنسان وربه، وأن هناك دين الحق أو الدين القيم، وهو دين الأنبياء جميعًا حتى خاتمهم محمد ﷺ، وأن الله لا يرضى غَيرَه، وأن اسمه عند الله الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وأن مكونات هذا الدين عنصران:

**الأول**: علمي نظري قلبي، وأطلق عليه: (الإيمان أو العقيدة).

**والثاني**: علمي سلوكي عملي، وأطلق عليه: (الإسلام أو الشريعة).

وقد تحدثنا عن العنصر الأول[1]؛ لأنه الأساس الذي تقام عليه القواعد، وإلا خرَّ السقف من فوقنا إذا كان ضعيفًا.

والآن نريد أن نتحدث عن العنصر الثاني وهو الإسلام أو الشريعة، وأهم حديث في هذا الباب هو الحديث المسمي بحديث جبريل:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ»[2].

## أولاً: ما هو الإسلام؟

فسره النبي ﷺ في حديث جبريل السابق بأعمال الجوارح

(١) وسوف نتوسع في الحديث حوله في الكتاب السادس [ سليمة العقيدة ] إن شاء الله.

(٢) رواه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان) سيأتي شرح بقية الحديث عند الكلام عن العقيدة في الكتاب السادس إن شاء الله.

الظاهر من القول والعمل، وأول ذلك الشهادة؛ وهي عمل اللسان، ثم عمل بدني كالصلاة والصوم، وعمل مالي وهو إيتاء الزكاة، وإلى ما هو مُرَكَّب منهما كالحج.

فذكر هنا أصول أعمال الإسلام التي يبني عليها قوله في بعض الروايات:

«فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ فأجابه قَالَ: إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ».

## ثانياً: جميع الأعمال الظاهرة داخلة في الإسلام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ».(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».(٢)

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن للإسلام صوىً (أي: أعلام)

(١) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).
(٢) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب: (إطعام الطعام من الإسلام).

**ومنارًا كمنار الطريق؛ من ذلك: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتسليمك على بني آدم إذا لقيتهم، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، فمن انتقص منهم شيئًا، فهو سهم من الإسلام تركه، ومن يتركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»**.[1]

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، وحج البيت سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهم، وخاب مَنْ لا سهم له».[2]

وقوله: الإسلام سهم يعني الشهادتان؛ لأن بهما يصير الإنسان مسلمًا.[3]

## وترك المحرمات من الإسلام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ»**.[4]

(١) في صحيح الحاكم.

(٢) وهي رواية سندها حسن.

(٣) انتهى ملخص كلام ابن رجب من كتاب (جامع العلوم والحكم) ج ١ ص ١٠٠، ١٠١ تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٣، ١٩٩١م.

(٤) رواه الترمذي، كتاب (الزهد)، باب: (فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس).

وهكذا وضح أن الإسلام - في هذا الحديث وغيره - يعني جميع الأعمال الظاهرة، فلا تكوني مسلمة حَقَّ الإسلام إلا إذا عبَّرت جوارحك عن حقيقة هذا الإسلام بالأعمال والسلوكيات.

## ثالثًا: الدين إيمان وإسلام

وهناك قاعدة مهمة تُذْكَرُ هنا:

إن الإيمان والإسلام كألفاظ يدلان على شيء واحد، وهو الدين بقسميه وركنيه؛ القسم النظري القلبي، والقسم العملي، فإذا ذُكِرَ أي منهما - مفردًا في حديث أو آية - فإنه يدل على الآخر، ولكن إن ذُكِرَ الاثنان في حديث واحد أو آية واحدة، فكل منهما يدل على معناه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وَلَمَّا جَاءَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيسِ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ. قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ

الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ». (١)

فالإيمان هنا هو أركان الإسلام الخمسة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**. (٢)

فمن شعب الإيمان هنا (إماطة الأذى) وهو عمل بالجوارح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**. (٣)

فذكر أعمال الجوارح من صفات المؤمنين في آية الأنفال، وفسَّر الإيمان بأعمال الإسلام في حديث وفد عبد القيس، وجعل من شعب الإيمان أعمالا للجوارح، وأخلاقيات مثل (الحياء) في حديث شعب الإيمان؛ وجعل إتيان المعاصي ضَعْفًا في الإيمان.

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب: (٥١).

(٢) رواه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب: (أداء الخمس من الإيمان).

(٣) رواه البخاري، كتاب (المظالم والغصب)، باب: (النهب بغير إذن صاحبه).

وعندما جمعهما (الإيمان والإسلام) في حديث جبريل ذكر لكلٍّ منهما معنى خاصًا ومحددًا، وأيضًا عندما جمعهما في آية سورة الحجرات أعطى للإيمان المعنى القلبي وللإسلام الظاهر على الجوارح ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

فإن قصدتم بالإيمان أعمال الجوارح التي تظهرونها ـ من صلاة وغيرها - فقولوا: أسلمنا؛ لأن الإيمان تصديق بالقلب بجانب عمل الجوارح.

**فالأدلة تشير إلى أن الدين الحق لا نستطيع أن نكون من أصحابه إلا إذا أتينا قسميه معًا؛ التصديق القلبي، وعمل الجوارح تبعًا لِمَا جاء به محمد ﷺ، وهذا هو معنى قولنا عند باب الإسلام ونحن داخلون روضاته: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله».**

## رابعاً: الإسلام علانية والإيمان في القلب

والحقيقة أن الإنسان يستطيع بسهولة أن يطلق على أي إنسان أنه مسلم لمجرد رؤيته يؤدي الفرائض الأساسية للإسلام، ولكن أن يطلق

عليه لفظة الإيمان فهذا لا يستطيع أن يعرفه أحد؛ لأنه أمر قلبي لا يعلمه إلا الله، كما لا نستطيع أن نتهم أحدًا بالكفر لمجرد أننا لا نراه يواظب على أعمال الإسلام؛ لأن الإيمان والكفر أمور قلبية لا يعلمها إلا الله.

وتستطيعين أن تقولي: إن ترك الصلاة كفر، ولكن لا تستطيعين أن تقولي: إن فلانا الذي ترك الصلاة هذا وباسمه وبعينه كافرًا، كما أنك لا تستطيعين أن تقولي عليه ـ لمجرد أداء الصلاة ـ : إنه مؤمن.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَهَلا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ**».(١)

ولذلك كان الحسن البصري ومحمد بن سيرين يقولان: «مسلم» ويتهيبان أن يقولا: «مؤمن».

وَعَنْ أَنسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الإِسْلامُ عَلانِيَةٌ، وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**». قَالَ: ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا**».(٢)

وروى أبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، وَزَادَ فِيهِ: «**اللَّهُمَّ مَنْ**

(١) رواه ابن ماجة، كتاب (الفتن)، باب: (الكف عمن قال لا إله إلا الله).
(٢) رواه أحمد، (باقي مسند المكثرين من الصحابة)، باب: (مسند أنس بن مالك).

**أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ»**(١) لأن العمل بالجوارح إنما يتمكن منه في الحياة، أما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب.

ومن هنا قال العلماء: «كل مؤمن مسلم، فإنَّ مَنْ حَقَّقَ الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام».

فلا يتحقق الإيمان في القلب إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام.

وليس كل مسلم مؤمن، فقد يكون الإيمان ضعيفًا، فلا يتشبع القلب به تشبُّعًا تامًّا مع عمل الجوارح بأعمال الإسلام، فيكون مسلمًا وليس بمؤمن الإيمان التام، كما قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤].

ولم يكونوا منافقين بالكلية، بل كان إيمانهم ضعيفًا.

عن سعد بن أبي وقاص قال: أعطى النبي ﷺ رجَالا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ». حَتَّى

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (الجنائز)، باب: (ما يقول في الصلاة على الميت).

أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِم». ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأُعْطِي رِجَالا، وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، فَلا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ».(١)

ولا ريب أنه متى ضَعُفَ الإيمان الباطني لزم معه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا إلا في حالة المنافقين؛ فإنه رغم خلو القلب من الإيمان يجيدون عمل الظاهر أمام الناس، فإذا خلوا بارزوا الله بالمعاصي.

فالإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل بالجوارح، والإسلام هو التصديق بالقلب والعمل بالجوارح، والإسلام يثبت للمسلم بمجرد أن ينطق بالشهادتين، ويطلب منه بعد ذلك أداء الأعمال فيصبح مسلمًا، وهو في الوقت نفسه مؤمن يزيد إيمانه وينقص بقدر معرفته بالله، وبقدر إتيانه الواجبات وتركه المحرمات، فيزيد إيمانه بالطاعة، وينقص بالمعصية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا

(١) رواه أحمد، (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، باب: (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص).

أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».(١)

«هكذا ينـتفي اسم الإيمان عمَّن ترك شيئًا من واجباته، وفي هذه الحالة يكون ضعيف الإيمان، ولكـن لا ينتفـي الإسـلام عـن المسـلم الذي نطق بالشهادتين لمجرد أنه يأتي بمعصية من المعاصي».(٢)

## خامساً: الإسلام طاعة وحب

كتاب (مبادئ الإسلام) للعلامة الهندي أبو الأعلى المودودي من الكتب التي تُرْجِمَـت إلى عشـرات اللغـات، وكـان سـببًا في تعريـف الإسلام للآلاف من غير المسلمين يـبدؤه بسؤال:

**لماذا سُمِّي الدين بالإسلام؟**

ويجيب: إن كل دين مرتبط باسم مؤسسـه، أو القبيلـة الـتي ظهرت فيه، فالمسيحية نسبة إلى السيد المسيح عيسى ابـن مـريم، واليهودية نسبة إلى قبيلة يهوذا، والبوذية نسبة إلى مؤسسها بوذا، إلا الإسلام، فيدل اسمه على صـفة معينـة لا بُـدَّ أن تكـون في المنْـتمِي إلى هذا الدين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب (المظالم والغصب)، باب: (النهب بغير إذن صاحبه).

(٢) انظر (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي، ج ١ ص ١١٠.

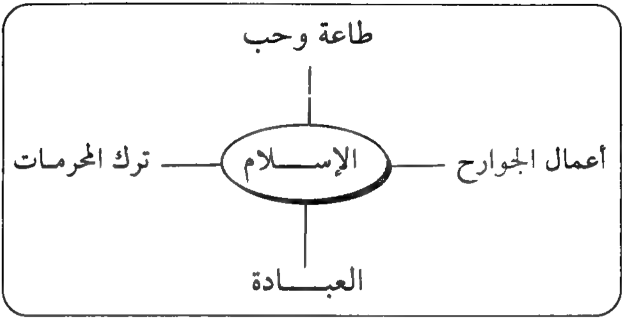


## معنى الإسلام وحقيقته

ثم يقول: «إن معنى الإسلام في اللغة: الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض؛ ولذلك فدين الإسلام هو الطاعة لله، والانقياد لأوامره ونواهيه دون اعتراض».

## الإسلام دين الكون

والكون كله يسير وفق قوانين محددة شاملة يستسلم لها ولا ينفك عن طاعتها، منْ أكبر فَلَكٍ سيَّار في السماء إلى أصغر ذرة من الرمل في الأرض، وهذا القانون من وَضعْ ملك مقتدر.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [البقرة: ٤٩ - ٥٠].

فإذا كان كل شيء في السماوات والأرض وما بينها منقادًا لهذا

القانون، فإن العالم كله مطيع لذلك المقتدر الذي وضعه، ومتبِّع لأمره، ويتبين من هذه الوجهة أن الإسلام دين الكون كله

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

إن الإسلام إذا كان هو الاستسلام لأوامر الله فلن يستطيعه الإنسان إلا إذا تَمَكَّنَ الإيمان في قلبه؛ فالإسلام - الذي هو الطاعة التامة لله - أول مظاهره الواضحة هو الالتزام بالعبادة.

**سادساً: الإسلام عبادة**

أنت عبد، والله معبودك، فكل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو عبادة.

وقد فرض الله مجموعة من العبادات؛ لتهيئ الإنسان للعبادة الكبيرة؛ وهي ما عَبَّرَت عنه الآية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولذلك كان التعبير الأساسي عن الإسلام كمثال له متمثلاً في العبادات الأربعة الأساسية التي تشكل مع الشهادتين أركان الإسلام.(١)

(١) سيأتي شرح وافي لهذه الأركان الخمسة عند الحديث عن عبادة المرأة المسلمة في هذه السلسلة (صحيحة العبادة) للمؤلف.

وهكذا تنتقلين أختي المسلمة خطوة ثانية على طريق محو الأمية الدينية؛ بتعرفك على معنى الإسلام، بعد أن تعرَّفتِ على معنى الدين في الخطوة الأولى، فإلى الخطوة الثالثة لتتعرفي على دورك نحو هاتين الخطوتين.

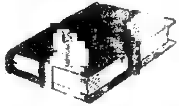

- **الإسلام هو الجانب العملي والسلوكي من الدين**، وهو الشريعة؛ حيث إن الإيمان هو الجانب العلمي القلبي، وهو العقيدة.
- وقد يأتي الإسلام كعنوان على أعمال قلبية إيمانية والعكس.
- **بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ**؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.
- **جميع الأعمال الظاهرة في حياتنا داخلة في الإسلام.**

فالإسلام هو الاستسلام الكامل لأوامر الله ونواهيه.

- **لا دين بلا إيمان قلبي وإسلام عملي معًا**، وأحدهم لا يغني عن الآخر.
- **أعمال الجوارح بلا إيمان نفاق**، وإيمان بلا أعمال الجوارح معصية.
- **الإيمان يزيد بالطاعة**، وينقص بالمعصية.
- **الإسلام طاعة وحب**؛ فهو الانقياد والامتثال الكامل لأمر الله ونهيه بلا اعتراض.
- كل فعل يفعله المسلم المؤمن، وينوي به التقرب إلى الله، ويكون على منهج النبي ﷺ يسمى عبادة.

# الفصل الثالث

## دورك كإنسانة وواجبك نحو الدين

بعد أن تعرفتِ ـ أختي المسلمة ـ على معنى الدين، وعرفت أنه إيمان بالقلب واستسلام بالجوارح وتعرفت على الإسلام، وعلاقة الإنسان بربه، القائمة على الطاعة والاستسلام الكامل لله... الآن، ما دور الإنسان في هذا الوجود؟ وما موقعه ومكانته في هذا الكون؟ ثم ما دوره بين خَلْقِ الله سبحانه وتعالى؟

### أولاً: الإنسان خليفة

إن قصة خلق الله للإنسان ـ كما ذكرها القرآن ـ تجيب عن هذه الأسئلة كلها، وتبيِّن موقع ومكانة الإنسان في هذا الوجود.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]

يقول ابن كثير: «ليس المراد بالخليفة آدم عليه السلام وحده..».

وكما قال ابن جرير الطبري: «تأويل الآية: إني جاعل في الأرض خليفة مني، يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم، ومَنْ قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمِنْ غير خلفائه».

فالإنسان خليفة في الأرض، رَتَّبَ الله له هذه الخلافة، وهي أساس الامتحان والاختبار.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]

هكذا؛ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

فكانت هذه عِلَّة جعل الإنسان خليفة في الأرض، وتميزه عن بقية المخلوقات بالعقل والإدراك والفهم.

## ثانياً: أدوات الاستخلاف

١- أعطي الله آدم وبنيه العلم والمعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]

﴿الرَّحْمَنُ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ۝ خَلَقَ الإِنْسَانَ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
[الرحمن:١-٤]

﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

٢ - وضع سبحانه بعض الضوابط للإنسان يعيش عليها، وأعطاه تحذيرات متعددة؛ ليستطيع أن يقوم بدوره في هذه الدنيا، فعلَّمه ستر العورة والتقوى.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾
[الأعراف: ٢٦]

٣ - وحذرهم من عدوهم الشيطان وفتنته وعبادته.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]

٤ - وعرَّفهم بالرسل وأرسلهم إليهم.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]

٥ - ثم ذكرهم بالعهد الأول بينه وبينهم.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

## ثالثاً: غاية الدور الإنساني

وهكذا استعد بنو آدم للدور وللمهمة التي خلقوا لها، واستحقوا تكريم الله لهم، وأصبحوا أَلْيَقَ بالامتحان والاختبار وإرساء العدل في الأرض، كما وضَّح الله أن مهمتهم إعلاء الحق في قوله سبحانه لداود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]

ومع بدء حمل الأمانة يعلن الله على الكون كله موقع ومكانة الإنسان في الأرض فيقول - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء: ٧٠]

فلم يخلق الله الإنسان عبثًا، ولم يكرمه هذا التكريم إلا لحكمة.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥]

والله يبين أن بني آدم منهم مَنْ عَرَفَ هذا الدور، ومنهم مَنْ كَفَرَ به وتركه خلفَ ظهره.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وفي هذه الحالة يستخلف الله بدل هذا الخَلْف أقوامًا آخرين ليقوموا بهذا الدور ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وأما الدور المنوط بالإنسان، فهو ما تلخصه آية قرآنية واحدة؛ وهي قوله – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

فدور الإنسان: أن يعرف ربه ويطيعه، ويعرف فضله عليه، ويعرف واجبه نحو هذا الفضل؛ أن يدل الضالَّ على الطريق المستقيم، ويحكم بالعدل بين خَلْقِه، ويَعْمُر هذه الأرض ولا يخربها، ولذلك أرسل الله الرسل؛ ليقوموا بالدور كنموذج من نماذج البشر، ليتعلم باقي البشر منهم كيف يُقَام دور الإنسان في الأرض على الكمال والتمام، ثم ختم بمحمد ﷺ وجعل له قرآنًا محفوظًا

حتى قيام الساعة كدستور يسيرون عليه فلا ينحرفـوا، ويعلمـوا مِـنْ خلاله أنهم قائمون بالمهمة خير قيام.

## رابعاً: واجبكِ نحو الدين

قلنا: إن خاتم النبيين محمـدًا ﷺ جـاء ليحـي رسـالة ديـن الله في الأرض منذ خلقها، وجعل بين يديـه قرآنـا محفوظًـا، وسـنة مُحْكَمَـة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٤ – ٥]

وكان آخر ما نزل من القرآن قول الله – تعالى –: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ فِـي حَجَّـةِ الْـوَدَاعِ: «أَلا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُـكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».[1]

**فكان واجب كل مسلم نحو هذا الديـن:**

١ – أن يحمله ويأخذه بقوة، لا يُنْقِصُ منه شيئًا.

٢ – وأن يبلِّغه، ويرشدَ الناس إليه، ويبذل الجهد في سبيله.

(١) رواه أحمد، (مسند بني هاشم)، باب: (بداية مسند عبد الله بن العباس).

## خامساً: الواجب الأول: ادخلوا في السِّلم كافة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

يقول ابن كثير: «يقول الله - تعالى - آمرًا عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا ذلك».

وقد فَسَّرَ العلماء السِّلْمَ بالإسلام وبالطاعة، وجاءت هذه الآية بعد عرض نموذجين للإنسان:

نموذج المرائي الشرير، ذلق اللسان، الذي يعجبك مظهره، ويسوؤك مخبره:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».(١)

والنموذج الثاني: المؤمن الصادق الذي يبذل نفسه كلها لمرضاة الله، لا يستبقي منها شيئًا، ولا يحسب لذاته حسابًا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

وبعد هذين النموذجين نموذج المنافق الفاجر، ونموذج المؤمن الصادق يهتف بالجماعة المسلمة - باسم الإيمان - أن تدخل في الإسلام كله بجميع جوانبه، لا تترك منه شيئًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كافة﴾ [البقرة: ٢٠٨]

ذلك حتى تتخلص الأمة من نموذج النفاق الأسود المقيت.

ادخلوا في الإسلام كله؛ عقيدته، وشريعته، وعباداته، أوامره، ونواهيه، ما جاء به القرآن، وما جاءت به السنة، بتوجيهاته الاجتماعية في الأسرة

(١) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب: (علامة المنافق).

والزواج والجيران، وتوجيهاته الاقتصادية حول الربا والبيوع وعدم الإسراف، وتوجيهاته في التجارة والسياسة والعلاقات.

ادخلوا في الإسلام كله، وادخلوا بكلِّ كيانكم، ادخلوا فيه بقلوبكم وجوارحكم إيمانًا وعبادة، ادخلوا فيه بعقولكم وهواكم علمًا واتباعًا، ادخلوا فيه بأنفسكم وأولادكم وأزواجكم.

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلا مُّبِينًا﴾** [الأحزاب: ٣٦]

هذا أول واجب من واجباتكِ نحو الدين؛ أن تدخلي فيه كله.

## سادساً: الواجب الثاني: التبليغ وتَبِعَاته.

أما الواجب الثاني فهو تبليغ هذا الدين، وتعليمه للناس، وبذل الجهد، وتحمل الأذى في سبيله، وقد فهم الصحابة والتابعين مِنْ بعدهم هذه المهمة، فانطلقوا في الأرض -كل الأرض- يدعون إلى الله، ويُعَلِّمون الناس الخير، حتى انتشر الإسلام في كل بقاع الأرض.

وكانت المرأة المسلمة هي الجناح الثاني لحمل هذا الدين مع الرجال، وعندما نزل القرآن عليها استشعرت ذلك التكليف السماوي فقامت به.

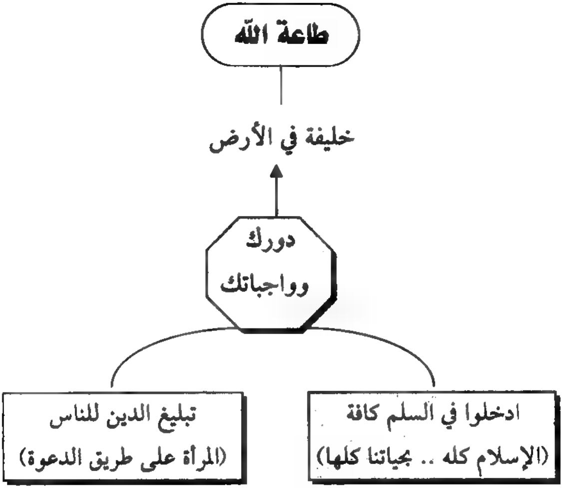


﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[التوبة: ٧١]

وفي كتاب (تحرير المرأة في عصر الرسالة) للشيخ عبد الحليم أبو شقة يعقد فصلا لنشاط المرأة في هذا المجال، في الجزء الثاني منه، نختصر منه هنا بعض المواقف.

## أولا : في دار الكفر (مكة).

### ١ـ المرأة تثبت قلب النبي ﷺ :

لَمَّا عاد ﷺ إلى بيته بعد نزول الوحي عليه، قَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللَّهِ، مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».[(١)]

وتسعى خديجة - رضي الله عنها - للتحري عن هذا الدين من ابن عمها ورقة بن نوفل عالم النصرانية في مكة؛ لتزيد النبي ﷺ تثبيتًا، وتطمئن قلبه.

### ٢ ـ المرأة تحمي الدعوة وتحفظ أمرها

وأورد ابن كثير في (البداية والنهاية) قصة فاطمة بنت الخطاب، المرأة الذكية، التي تَعْلَمُ عداءَ قومِها للدين الجديد، فتتخذ الحذر والفِطْنَة في التعامل؛ وذلك أنه لَمَّا خطب أبو بكر في مجلس قريش ومعه المسلمون (٣٨ رجلا) قاموا إليه فضربوه ضربًا مبرحًا، وحُمِلَ إلى بيته، فَلَمَّا أفاق قال: ما فعل رسول الله؟ فقالت أمه: والله ما لي

---

(١) رواه البخاري، كتاب (بدء الوحي)، باب: (بدء الوحي). والكَلُّ: هو مَنْ لا يستطيع. وتقري الضيف: أي تكرمه.

علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل (فاطمة بنت الخطاب) فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمدَ بنِ عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك؟ قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دَنِفًا [1]، فدنت أم جميل وقالت: إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، فأمهلتاه حتى إذا هدأتِ الرِّجْلُ وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما؛ حتى أدخلتاه على رسول الله، فأكب عليه الرسول ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون.

### ٣ـ المرأة تسبق إلى الإيمان.

(أ) تسبق أباها؛ مثل: أم حبيبة بنت أبي سفيان.

(ب) وتسبق أخاها؛ مثل: فاطمة بنت الخطاب التي أسلمت قبل عمر، وكانت سببًا هي وزوجها سعيد بن زيد في إسلامه.

(ج) وتسبق زوجها؛ مثل: لبابة بنت الحارث، أم عبد الله بن عباس، وتكني أم الفضل على اسم أكبر أبنائها.

---

(١) دنفا: أي اشتد مرضه، وأشرف على الموت.

روى البخاريُّ عَـن ابْـنِ عَبَّـاسٍ - رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا - قَـال: «كُنْتُ أَنَـا وَأُمِّـي مِـنَ الْمُسْتَضْـعَفِينَ؛ أَنَـا مِـنَ الْوِلْـدَانِ، وَأُمِّـي مِـنَ النِّسَاءِ».[1] وقال البخاري: ولم يكن مع أبيه على دين قومه.

* وزينب بنت رسـول الله ﷺ أكـبر بنـات الـنبي الـتي أسـلمت وهاجرت وتركت زوجها أبا العاص بن الربيع كافرًا.

* حواء بنت يزيد الأنصارية، كانت قد أسلمت قبل هجرة النبي وهي في المدينة، وكان زوجها قيس بن الحطـيم الشـاعر يسـيء إليهـا ويأتيها وهي ساجدة، فيقلبها على رأسها، حتى قابله رسـول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام، فردَّ ردًّا حسنًا وأبى أن يسلم، فوصاه رسـول الله ﷺ بزوجته، فكان لا يؤذيها بعد ذلك.. وكان الناس يقولون له: يا أبا يزيد: امرأتك تتبع دين محمد، فيقول قيس: قد جعلت لمحمـد أن لا أسوؤها وأحفظه فيها.[2]

* وأم سليم قد أسلمت قبل زوجها الأول مالك بن النضر (أبو

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الجنائز)، باب: (اذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه وهل يعرض علي). ويشير ابن عباس إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّـدُنْكَ وَلِيًّـا وَاجْعَـل لَّنَـا مِـن لَّـدُنْكَ نَصِـيرًا﴾ (النساء: ٧٥).

(٢) موسوعة حياة الصحابيات – محمد سعيد مبيض، ص ٣٠٧، دار الثقافة – قطر – ١٩٩٠م.

أنس) وجاء زوجها ـ وكان غائبًا ـ فقال: أصبوتِ؟ قالت: ما صبوت ـ أي: ما خرجت من دينٍ إلى دين ـ ولكني آمنت بهذا الرجل، وجعلت تُلَقِّنُ أنسًا، وتشير إليه، قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، عل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول له: إني لا أفسده، فخرج مالك يومًا فلقيه عدو فقتله.

* وأم حبيبة: لَمَّا ارتد زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة ـ وهما مهاجران ـ وتنصَّر، ثبتت هي على دينها وهجرته.

(د) وتسبق مواليها: فقد كانت الأَمَة ـ على ضعفها ـ تدخل الإسلام رغم أنف مواليها؛ ومنهم - كما روي البخاري - أم عمار (سمية) أولى شهداء الإسلام، وهي سميةُ بنت الخياط، زوجة ياسر وأم عمار بن ياسر، ومولاة أبي حذيفة بن عبد الله. أسلمت العائلة كلها في بداية الدعوة.. عذبها آل بني المغيرة حتى قتلها أبو جهل، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ثم قَتَلَ زوجها، وكان رسول الله ﷺ يمر عليهم وهم يعذبون فيقول لهم: «صبرا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة». ولما قتل أبو جهل في بدر قال رسول الله ﷺ لعمار: «قُتِلَ قاتلُ أمِّك». [1]

* ومنهن حمامة؛ عتيقة أبي بكر، من أوائل مَنْ أسلموا، فنالتِ

(١) انظري (موسوعة حياة الصحابيات) ص ٤٧١.

العذابَ الشديد في سبيل الله، وصبرت عليه حتى اشتراها أبو بكر وأعتقها.. ويقال: إنها أم بلال بن رباح.

* أم عبيس: وهي عتيقة أبي بكر أيضًا، وكان الأسود بن عبد يغوث هو الذي يعذبها.

* زنِّيرة: وهي زنِّيرة الرومية، من الستة الذين أعتقهم أبو بكر ﷺ في أول الدعوة، وكانت قد عمي بصرها من التعذيب، فقالوا: أعمتها اللات والعزى، فقالت: كفرت باللات والعزى، والله ما يغنيان ولا ينفعان، فردَّ الله بصرها.

**(هـ) وتسبق أهلها كلهم:**

وقد ورد في الطبقات الكبرى: «ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة»

روي البخاري أنها خرجت إلى رسول الله مهاجرة بعد صلح الحديبية، فأراد أهلها أن يردوها طبقًا لشروط الصلح، فرفض رسول الله ﷺ؛ لأن الصلح ذكَرَ الرجالَ فقط. [1]

**٤ ـ تحمل النساء الأذى والاضطهاد في سبيل هذا الدين الجديد:**

وقد رأينا السابقات إلى الإسلام مثل: سمية وحمامة وأم عبيس وزنِّيرة، وكان لبني عدي جارية كان عمر يعذبها قبل أن يسلم.

(١) رواه البخاري، كتاب (المغازي)، باب: (٣٨٦١).

## ٥ـ والمرأة تدعو إلى الإسلام:

ورد في الإحياء أن امرأة من مكة تدعى أم شريك القرشية أسلمت -والمسلمون قِلَّة- وجعلت تدخل على نساء قريش تدعوهن وترغّبهن في الإسلام؛ حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا.

## ثانيًا: الهجرة بدينها.

١- قد أوجب الله الهجرة عليها إذا خافت على دينها مع اعتبارها من المستضعفين﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[النساء:٩٧-١٠٠].

وورد في فتح الباري: «الآية لا تدل على اختصاص النساء بالضعف بل على المساواة».

**٢ـ الهجرة إلى الحبشة:**

يقول ابن حجر: «وأما النسوة المهاجرات إلى الحبشة الهجرة الأولي فهن: رقية بنت النبي ﷺ مع زوجها عثمان، وسهلة بنت سهل؛ امرأة أبي حذيفة، وأم سلمة بنت أبي أمية؛ امرأة أبي سلمة، وليلى بنت أبي حثمة؛ امرأة عامر بن ربيعة.

وأما اللاتي هاجرن الهجرة الثانية فبلغن ثماني عشرة امرأة، منهن: أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأسماء بنت عميس، وهمينة بنت خلف الخزاعية، وكانت معها ابنتها أم خالد بنت خالد، وكانت صغيرة تكنى بأبيها خالد بن سعيد بن العاص.

**٣ ـ الهجرة إلى المدينة:**

وَلا نَنْسَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ حِينَ هَاجَرَتْ وَهِيَ حُبْلَى بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَدِمَتْ قُبَاءً، فَنَفِسَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ خَرَجَتْ حِينَ نُفِسَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُحَنِّكَهُ.(١)

وَأُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ؛ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَاتِقٌ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي الْمُؤْمِنَاتِ مَا أَنْزَلَ.(٢)

(١) رواه مسلم، كتاب (الآداب)، باب: (استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح).

(٢) رواه البخاري، كتاب (المغازي)، باب: (غزوة الحديبية).

وورد في كتب السير والتراجم العديد من النساء اللاتي هاجرن إلى المدينة؛ منهن أم سلمة رضي الله عنها.

ومن أجمل ما قيل في حق النسوة الأوائل ما رواه البخاري عن الإمام الزهري؛ قال: «وَمَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيمَانِهَا». (١)

## ثالثا: في دولة الإسلام:

### ١ـ مبايعة النساء النبي على الإسلام:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: شَهِدْتُ الْفِطْرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.. حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ، مَعَهُ بِلالٌ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة: ١٢].

ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: «آنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ؟»

قَالَتْ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ. لا يَدْرِي مَنْ هِيَ،

(١) رواه البخاري، كتاب (الشروط)، باب: (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة).

قَالَ: «فَتَصَدَّقْنَ» فَبَسَطَ بِلالٌ ثَوْبَهُ ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي، فَيُلْقِينَ الْفَتَخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلالٍ.(١)

يقول أبو شُقَّة: «إن مبايعة النساء النبي ﷺ لها عدة دلالات:

الدلالة الأولى: استقلال شخصية المرأة، وأنها ليست مجرد تابع للرجل، بل هي تبايع كما يبايع الرجل.

الدلالة الثانية: بيعة النساء هي بيعة الإسلام، والطاعة لرسول الله ﷺ، وهذه يستوي فيها الرجال والنساء.

الدلالة الثالثة: أن المرأة كانت مُمَثَّلة في البيعات العامة؛ مثل بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة؛ فقد كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتان؛ هن أم عمارة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي».(٢)

**٢ـ دعوة المرأة خاطبها إلى الإسلام:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الجمعة)، باب: (موعظة الإمام النساء يوم العيد). والْفَتَخُ: الْخَوَاتِيمُ الْعِظَامُ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(٢) انظري (تحرير المرأة في عصر الرسالة) عبد الحليم أبو شقة، الجزء الثاني، دار القلم – الكويت.

فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلالٌ». [١]

فمن هي امرأة طلحة هذه؟

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا». [٢]

## ٣ـ مشاركة المرأة في الجهاد:

عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ». [٣]

وعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب (فضائل الصحابة)، باب: (من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال).

(٢) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب: (التزويج على الإسلام).

(٣) رواه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب: (رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة).

**هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»**. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهِمْ، فَدَعَا لَهَا».(١)

وغزت أم حرام في أول أسطول بحري أخرجه معاوية بن أبي سفيان لغزو جزيرة قبرص، وماتت ودفنت هناك - رضي الله عنها - مع زوجها عبادة بن الصامت.

**٤- المرأة تلبي النداء:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهِيَ تَمْتَشِطُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ**» فَقَالَتْ لِمَاشِطَتِهَا: «كُفِّي رَأْسِي».(٢) (أي: اجمعي أطراف شعري)

وفي رواية فقالت للجارية: «اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا**».(٣)

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، حديث رقم (الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء).

(٢) رواه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب: (إثبات حوض نبينا وصفاته).

(٣) رواه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب: (إثبات حوض نبينا وصفاته).

عَنْ فاطمةَ بنتِ قيسٍ قالت: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي؛ مُنَادِي رَسُول اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ**»(١).

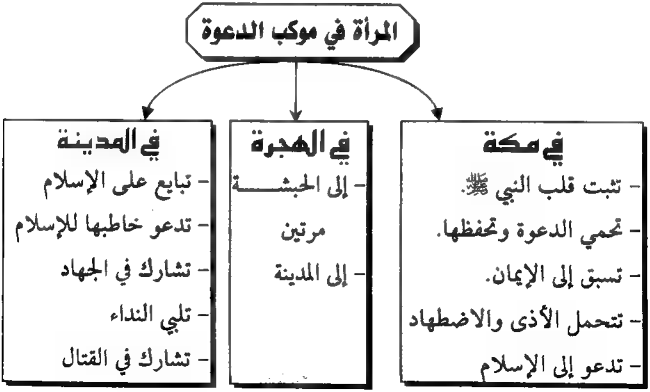


(١) رواه مسلم، كتاب (الفتن وأشراط الساعة)، باب: (قصة الجساسة).

هكذا كانت المرأة مع دينها؛ تعلم واجبها نحوه، وتقوم به خير قيام، ولا ننسَ أن:

- أول من آمن بالنبي امرأة؛ هي خديجة رضي الله عنها.
- وأول شهيدة في الإسلام امرأة؛ سمية بنت الخياط.
- وأول أذان في المدينة ارتفع من فوق بيت امرأة.
- ومنبر النبي ﷺ صنعه عبدٌ بوصيةِ سيدته.

- للإنسان دور في الحياة وغاية؛ هذا الدور هو أن يعبد ربه، وغايته رضى مولاه.

- كَـرَّمَ اللهُ الإنسـانَ وأسـجدَ لـه الملائكـة، وجعلـه خليفـة في الأرض، وحَمَّله الأمانة؛ ليجعل ذلك له اختبارًا وامتحانًا.

أعطى الله الإنسان العلم، وسخر له الكون، وأكرمه بالرسل من البشر، كل ذلك إعداد للقيام بالمهمة التي خلق من أجلها.

- مهمة الإنسان إقامة الحق والعدل في الأرض؛ وهي قمة العبادة لله تعالى.

أما الواجبات:

الواجب الأول: ادخلوا في السلم كافة.

الواجب الثاني: تبليغ الإسلام وتحمل تبعاته.

**وكانت هناك نماذج رائعة للمرأة المسلمة التي قامت بواجباتها نحو الدين خير قيام، وذلك في جميع أدوار حياتها؛ أم وابنه وزوجة وأخت.**

# الفصل الرابع

# أن تدركي أن الإسلام دين شامل ومنهج حياة

من ملامح ثقافة المسلمة - بعد أن تَعَرَّفَتْ على معنى الدين، وأيقنتْ بالإيمان، وقامتْ بأركانِ الإسلام، وعَرَفَتْ دورَها كإنسان مؤمن، وعرفت واجبها نحو هذا الدين - أن تدرك أن الإسلام دين شامل لا يترك جزءًا من حياة الإنسان والكون إلا وينظِّمه ويرتِّبه.

يقول تعالى آمرًا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

في كتاب الخصائص العامة للإسلام للشيخ (يوسف القرضاوي) يذكر كلمة سمعها من الإمام (حسن البنا) عن الإسلام؛ يقول رحمه الله:

«إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمان، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة».

وسوف نصحب هذا الكتاب معنا في هذا الفصل.

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: «**فهي رسالة الزمان كله**، ليست لعصر معين ينتهي أثرها بانتهائه، إنها رسالة المستقبل المديد، كما أنها رسالة الماضي البعيد».

وقد بَيَّنَا مِنْ قبل كيف أنها رسالة الماضي؛ حيث إن كل نبي جاء إلى قومه بهذه الرسالة. (١)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]

**وهي رسالة العالم كله**، فهي ليست رسالة شعب خاص، ولا إقليم معين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

**وهي رسالة الإنسان كله**، فليست رسالة العقل دون الروح، ولا

(١) انظري الفصل الأول (معنى الدين).

الروح دون الجسد، ولا الفكر دون العواطف.

إنها رسالة الإنسان كلـه؛ روحـه، وعقلـه، وجسـمه، وضـميره، وإرادته، ووجدانه.

فإن الإسـلام لم يشـطر الإنسـان شـطرين: شـطر للـدين وشـطر للدنيا، ليتمزق الإنسان بين توجيهين مختلفين، وسلطتين مختلفتين.

وهو رسالة للإنسان في أطـوار حياتـه كلـها، فتجـد في الإسـلام أحكامًا للمولود منذ أن يولـد حتـى المـوت؛ بـل نجـد أحكامًـا قبـل ولادته، بل وبعد موته.

والإسلام رسالة للإنسان في كـل مجـالات حياتـه، وكـل ميـادين نشاطه، لا تدع الإنسان بلا هداية الله في أي طريق يسـلكه؛ ماديًـا أو روحيًا، فرديًا أو جماعيًا، فكريًا أو عمليًا، دينيًا أو سياسيًا، اقتصاديًا أو أخلاقيًا.

لا يقول الإسلام كما قال غيره: «دع ما لقيصر لقيصـر، ومـا لله لله»، ولكن يقول عن الله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]

فهذا الدين عقيدته شاملة، وعباداته شـاملة، وأخلاقه شاملة، وشريعته شاملة.

## أولاً: العقيدة شاملة:

فهي تفسر كل قضايا الكون؛ قضية الله، والْخَلْق، والإنسان، والنبوة، والغيب، والآخرة.

وهي تجعل للإنسان إلها واحدًا لا ينقسم بين إلهين أو ثلاثة، بل هو إله واحد، ولا سلطان على الإنسان لأحد مهما كان إنسًا أو جنًّا إلا الله، حتى إن الشيطان الذي قد يتحجج الإنسان به إذا خالف ربه يقول يوم القيامة:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وهي عقيدة شاملة فلا تعتمد على الشعور والوجدان فقط، ولا على العقل فقط، وإنما تعتمد عليهما معا، فتنبعث من ضياء العقل، وحرارة القلب، فتؤتي أكلها في الحياة.

وهي عقيدة شاملة؛ لأنها لا تقبل التجزئة، فليس فيها نسبة إيمان أو جزء من اعتقاد، فلا يصح لمسلم أن يؤمن بالعقيدة والعبادات كما جاء بها القرآن، ثم يقول: آخذ الأخلاق من نظام آخر، أو يؤمن بالجنة والنار –كما ورد في القرآن – ولا يستمد نُظُمه وشريعته من القرآن نفسه.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]

## ثانياً: العبادة شاملة:

فهي تستوعب الإنسان كله؛ لسانه، وبدنه، وقلبه، وعقله؛ فيعبد الله بلسانه؛ أي: ذاكرًا تاليًا، وببدنه؛ أي: مصليًا صائمًا مجاهدًا، وبقلبه؛ أي: خائفًا راجيًا محبًّا متوكّلا، وبعقله؛ أي: متفكرًا متأملا متعلّمًا، وبحواسه كلها خاشعًا خاضعًا لله.

والعبادة تستوعب الحياة كلها، فلا تقتصر على الشعائر التعبدية كالصيام والصلاة، ولكن كل حركة من حركات الإنسان يجب أن تكون تحت مظلة العبادة لله، وكل عمل نافع يقوم به الإنسان لخدمة المجتمع ومساعدة أفراده فهو عبادة، وسعي الإنسان على معاشه ومعاش أسرته عبادة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ

تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرًا». (١)

## ثالثاً: والأخلاق شاملة:

فأخلاق الإسلام ليست هي ما تُعْرَف بالأخلاق الدينية؛ وإنما هي علاقة سامية، وتصرف إنساني راقٍ، يؤدي إلى الإحسان والسمو.

فأخلاق تتعرض للفرد جسمًا وعقلا ونفسًا، وأخلاق تتعلق بالأسرة، والدين، والأرحام، والأزواج، والأولاد، وأخلاق تتعلق بالمجتمع وآدابه وعلاقاته.

**في آداب الاستئذان:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

**وفي المعاملات التجارية:** ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ١-٢].

(١) رواه مسلم، كتاب (الزكاة)، باب: (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف).

**وفي المعاملات المالية**: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

**وفي السياسة والحكم**: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

**وأخلاق سامية رفيعة حتى مع البهائم**: عَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ؛ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً».(١)

## رابعًا: الشريعة شاملة.

فهي تُشَرِّع للفرد والأسرة والمجتمع؛ بل وعلاقة الدول بالدول حولها.

- تشمل ما يتعلق بالفرد مع ربه؛ وهو ما يسمى بالعبادات.
- وتشمل ما يتعلق بالأسرة، وهو ما يسمى بالأحوال الشخصية.

(١) رواه أبو داود، كتاب (الجهاد)، باب: (ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم).

- وتشمل علاقات الأموال والعقود والإيجارات، والمسماة بالمعاملات.
- وتشمل الحدود والجرائم والعقوبات.
- وتشمل ما يتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين، كما ورد في (السياسة الشرعية).
- وتشمل ما يتعلق بالعلاقات الدولية في السِّلم والحرب.

فلا توجد ناحية من نواحي الحياة لم يُنَظِّمْها تشريع الإسلام.
﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [تبارك: ١٤].

**خامسًا: الإلتزام شامل وإسلامكِ شامل.**

ولأن هذا الإسلام شامل، وهو الذي ارتضاه الله للإنسان دينًا، فإنه سبحانه وتعالى لا يرضى أن نأخذ جزءًا منه ونترك البعض.

فلا يجوز - في نظر الإسلام - أخذ جانب العقيدة والإيمان من تعاليمه، وإغفال جانب العبادة والأخلاق؛ كمن يقول: إن الإيمان في القلب، فلا يهم العمل والالتزام.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤].

ولا يجوز الاعتناء بالعبادة والشعائر، وإهمال الأخلاق والفضائل، ونلاحظ الربط بين العبادة والأخلاق في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]

ولا يجوز الاهتمام بالعقيدة والعبادة والأخلاق مع إغفال الشريعة والنظام الذي وضعه الله لحياة الإنسان والمجتمع والدولة. وهل هناك أكثر صراحة من قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ۝ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ [المائدة: ٤٩-٥٠].

هذا هو دين الإسلام الشامل الذي أوجب الله أن نؤمن به، وأن نعمل له، وأن نعيش حياتنا من خلاله وتحت نظامه.

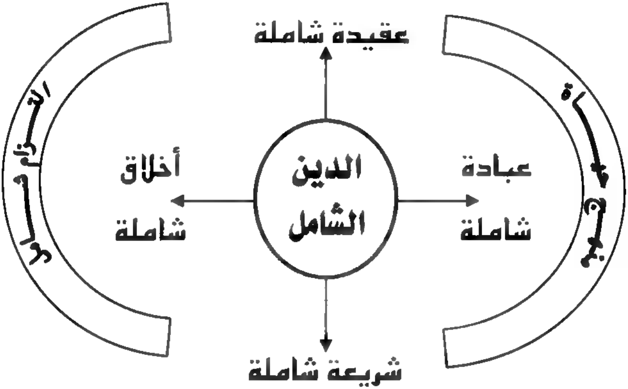


ونستطيع أن نعرِّفه في كلمات بسيطة فنقول:

**«الإسلام نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعًا؛ فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».** (1)

(١) الأصل الأول من الأصول العشرين لركن الفهم، انظري (مجموعة الرسائل – رسالة التعاليم) للإمام الشهيد حسن البنا.

## سادسًا: الإسلام منهج حياة.

بعد أن عرفتِ أن الإسلام ينظم شؤون الحياة كلها، وأن فيه ضوءًا ينير أيَّ جانبٍ من جوانب حياتنا، فماذا يكون ردك إذا قيل لك:

- ☺ إن هناك مشكلة في علاقات الأصدقاء.
- ☺ إن هناك مشكلة بين الجيران.
- ☺ إن هناك مشكلة في بيت من البيوت.
- ☺ إن هناك مشكلة اقتصادية في المجتمع.
- ☺ إن هناك مشكلة في علاقاتنا الدولية.

إن الإجابة عن هذه المشكلات وغيرها هي أن تقولي: إن الإسلام منهج حياة، وفيه حلٌّ لجميع هذه المشكلات إذا طبقناه في حياتنا.

نعم؛ ولكن أي إسلام؟ هل هو إسلام جزئي، نأخذ به في تعاملنا مع الله من ذكر وصلاة وصيام، ونتركه في معاملاتنا في دواوين العمل، وعلاقاتنا مع الأفراد؟ أم هو إسلام نلجأ إليه عند المشكلة، ونجعله وراء ظهورنا عند إنشاء مشروع حياة، أو دستور دولة؟

إن البيت المسلم – الذي بدأت التشققات تهاجم جدرانه،

وبدأت زلازل المشكلات تُصَدِّع أركانه - إذا حاول أن يحل مشكلاته بالإسلام فستقف أمام هذه الحلول عقبة؛ أنه لم يقم - أساسًا - من أول يوم على الإسلام.

## الإسلام هو الحل.. كيف؟

إن الإسلام هو الحل، نعم، ولكن -قبل ذلك - الإسلام هو المنهج والدستور الذي تقوم عليه الحياة، ثم إن الإسلام وحلوله لا يفعل فعل العصا السحرية التي تُحَوِّل الصحراء إلى أراضٍ خضراء، بل هو الحل الذي يحوِّل الإنسان من الخمول إلى العمل، ومن القعود إلى الانطلاق.

> الإسلام حل للأقوياء لا للضعفاء.
> الإسلام حل للعاملين لا للقاعدين.

نعم؛ الإسلام هو الحل، ولكن أن يكون دينًا ودنيا، أن يكون علاقة مع الله كاملة، تُتَرْجَمُ على علاقاتنا في الحياة؛ شرعة ومنهاجًا

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا۝ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(نوح:١٠-١٤).

يقول ابن كثير: «﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أي: ارجعوا إليه، وارجعوا عما أنتم فيه، وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه مهما كانت ذنوبه.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي: متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء؛ لأجل هذه الآية.

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار، فلما سئل في ذلك قال: لقد طلبت الغيث بمخارج السماء التي يستنزل بها المطر ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرَّ لكم الضَّرْع، وأمدكم بأموال وبنين، وجنات فيها أنواع الثمار، وخَلَّلَها بالأنهار الجارية»[1].

ويقول الشهيد (سيد قطب): «وقد ربط سبحانه بين الاستغفار وهذه الأرزاق، وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين

(١) انظري (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، ج ٧ ص ١٢٤، دار الأندلس، بيروت، ط٧، ١٩٨٥م.

صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء، جاء في موضع ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وجاء في موضع ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٢ - ٣].

وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهًا حقيقيًّا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله، وما مِنْ أمةٍ اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته فحققت العدل والأمن للناس جميعًا إلا فاضت فيها الخيرات، ومَكَّنَ اللهُ لها في الأرض، واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء.

## ابتلاء العطاء

ولقد نشهد في بعض الفترات أممًا لا تتقي الله، ولا تقيم شريعته، ومع هذا وُسِّعَ عليها في الرزق، ومُكِّنَ لها في الأرض، ولكننا نقول: إنما هذا هو الابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]

ثم هو بعد ذلك رخاء ملئ بالآفات: الاختلال الاجتماعي، والانحدار الأخلاقي، أو الظلم والبغي، وإهدار كرامة الإنسان.

وأمامنا الآن دولتان كبيرتان، وُسِّعَ عليهما في الرزق، ومُكِّنَ لهما في الأرض، إحداهما رأسمالية والأخرى شيوعية، في الأولى يهبط المستوى الأخلاقي إلى الدرك الأسفل من الحيوانية، فيهبط تصور الحياة إلى الدرك الأسفل كذلك، فيقوم كله على الدولار!

وفي الثانية تهدر قيمة الإنسان إلى درجة تصل إلى ما دون الرقيق، وتسود الجاسوسية، ويعيش الناس في وَجَلٍ دائم من المذابح المتوالية، ويبيت كل إنسان وهو لا يضمن أن يصبح ورأسه بين كتفيه، وعلى كلٍّ ليست هذه أو تلك حياة إنسانية توسم بالرخاء! (١)

فالإسلام هو الحل، ولكن عندما يكون منهج حياة متبع، يقوم على عبادة الله، واتباع شريعته، والتزام منهجه.

---

(١) انظري (في ظلال القرآن) ج ٦ ص ٣٧١٣، وقد كتب الشهيد سيد قطب هذا الكلام قبل انهيار الدولة الثانية (الشيوعية)، ولكن تبقى سماتها في جميع دول الأرض؛ حيث يسود الظلم ورفض الإسلام دينًا ومنهجًا.

## دين شامل

- الإسلام دين شامل لأمور الحياة جميعًا، لا يحتاج إلى أي منهج آخر؛ سواء أكان دينًا سماويًا منسوخًا به، أو شريعة أرضية، أو فلسفة إنسانية؛ فهو يُقَدِّم كلَّ ما تحتاجه الحياة، بل وقبل الحياة وبعدها.
- كل أركان الإسلام شاملة؛ فالعقيدة شاملة، والعبادة شاملة، والأخلاق شاملة، والشريعة شاملة.
- ولأن الإسلام نظام شامل، فإن التزامكِ بالإسلام لا بُدَّ أن يكون شاملا؛ فلا يصح أن تلتزمي بجزء، وتلجئين إلى مصدر غيره في جزء آخر.

## دين شامل ومنهج حياة

الإسلام منهج حياة؛ لأنه دين شامل ونظام كامل لحياتنا، وحل شامل لكل مشكلاتنا، وقواعد شاملة لكل معاملاتنا وعلاقاتنا.

وهناك شرطان حتى يكون الإسلام هو الحل لجميع مشكلاتنا:

١ - أن يكون تطبيقه نوعًا من الاعتقاد والإيمان.

٢ - أن تكون سلوكياتنا في الحياة مطابقة لأوامره ونواهيه.

## الفصل الخامس

# أن تفهمي ما يُحاك ضد الإسلام؟

إذا كـان الإسـلام هـو الـدين الشـامل الكامـل الـذي لا يقبـل التجزئة، ولا يرتضي الترقيع، وإذا كان هو الدين الذي يصنع الأمـم القوية التي تعيش على الإباء والعزة والكرامـة، وإذا كـان الله جعـل لأصحاب هذا الدين - منذ أن خلق الإنسان على الأرض - أعـداءً أو شياطين

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

واستمرت رحلة الصراع بين الحق - المتمثّل في أهل الإسـلام -

والباطل تسير عبر دروب التاريخ، حتى وصلت إلى رسالة محمد ﷺ، وقوبلت بالعداء من أول يوم، ولكن نصرها الله، وأقام منها أمة استطاعت أن تنشر النور في أرجاء الأرض، وانطلق أصحاب محمد ﷺ ينادون في الأرض كل الأرض؛ وهم على خيولهم، وفي تجاراتهم، وفي أسفارهم:

«نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج مَنْ شاء مِنْ عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيقِ الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ولكن النور يؤذي خفافيش الظلام، والأخلاق تعوق شهوات العصاة، فاستمر الصراع الطويل أربعة عشر قرنًا، كان الإسلام يخرج منتصرًا في كل معركة، وكانت راية لا إله إلا الله هي القلب الخفَّاق الذي تجتمع عليه قلوب المؤمنين، فيضحون في سبيلها بكل غالٍ.

كانت صيحة (وا إسلاماه) هي الدماء التي تسري في شرايين الضعفاء والجرحى ليهُبُّوا لنصرة دينهم، ولكن التخطيط الدائم، والمكر السيئ المستمر بأعداء الحق والخير والحرية أحكم شباكه في القرن الأخير.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ

مِنْهُ الْجِبَالُ۝ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٦ – ٤٧]

فوجدوا أن الإسلام لن ينهزم في معركة السلاح أبدًا، وإن المعركة التي يستطيعون من خلالها أن يهزموا المسلمين هي أن ينزعوا الإسلام من القلوب، فبدءوا التخطيط على أوسع مجال، من أجل محاربة القرآن، والسنة، والأزهر، والشريعة، واللحية، وحتى السواك، وكل أصل وفرع في الإسلام، وكل ما يرمز للإسلام، وذلك بالتهكم والسخرية، وتربية أجيال تتنكر لدينها.

## حصن المرأة

وكانت المرأة المسلمة هدفًا كبيرًا لهم، وسلاحًا عظيمًا في الوقت نفسه، فكان هدفهم حرب الإسلام في قلب المرأة المسلمة، وإشعارها بأن كل ما جاء به الإسلام فيه ظلم لها.

ظَلَمَهَا فاتَّهمها بالعِوَج! وظلمها فاتهمها بأنها ناقصة عقل ودين! وظلمها فجعل الرجل يتزوج عليها أكثر من واحدة!

وظلمها فجعل نصيب الرجل ضِعْفَ نصيب المرأة في الميراث! وظلمها فجعل شهادتها نصف شهادة الرجل!

وظلمها فجعل الرجال قوامين على النساء، ولهم عليهن درجة! وظلمها فأمرها أن تسجد للرجل!

وظلمها فأمرها أن تمكث في البيت ولا تخرج منه إلا إلى قبرها!

وظلمها فألبسها ما يواري جسدها، فَحُرِمَتْ من أن تُظْهِرَ جمالها وتُبْدِي فتنتها!!

وظلمها فجعل مجتمع الرجال بعيدًا عن مجتمع النساء، ومنع الاختلاط!

ظلمها فحرمها من الرياضة والسباحة! ظلمها فحرمها من مشاركة الرجل في العمل، بأي شكل من أشكاله!

ظلمها فحرَّم عليها الغناء والتمثيل، ومسابقات ملكات الجمال!

ظلمها فجعلها مربية أولاد، وخادمة لهم!

وظلمها.. وظلمها.. وظلمها!!!

فلماذا لا تثور؟ ولماذا لا تخرج عن هذه التقاليد البالية؟ بل أكثر من هذا؛ فأصبحت خارج البيت تأبى الزواج، وتأبى تربية الأولاد، وتتذمر على بيتها وزوجها، وتستنكر قوامة الرجل، وتتأ من أحكام الميراث والزواج.

أخرجوها من ملابسها، وبدت لهم سوءتها وعورتها، فتحوا لها مجال الفن والرقص؛ لتصبح سلاحًا في أيديهم، ليهوي المجتمع المسلم كله تحت أرجلها، ثم لتهوي هي معه تحت أرجلهم.

كيف تَمَّ لهم هذا؟ وكيف استطاعوا الوصول إلى الدرع الواقي للأمة، المتمثل في المرأة المُحَافِظَة على دينها وبيتها؟

## قذائف الباطل

في كتاب (الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار) للأستاذ محمد عطية خميس تسجيل جيد لهذه الخطة الجهنمية التي تهدم أمة الإسلام، عن طريق هدم الإسلام في قلوب نسائها، ونلخصها في مجموعة مِنَ القذائف:

### القذيفة الأولى: مرقص فهمي

في عام ١٨٩٤م أصدر المحامي (مرقص فهمي) كتابًا بعنوان (المرأة في الشرق) وقد دعا فيه – لأول مرة – إلى أهداف خمسة:

١- القضاء على الحجاب الإسلامي.
٢- إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب.
٣- تقييد الطلاق، ووجوب وقوعه أمام القاضي.
٤- منع الزواج بأكثر من واحدة.
٥- إباحة الزواج بين المسلمة وغير المسلم.

ويقول المرحوم (طَلعت حرب باشا) في كتابه (المرأة والحجاب): «إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان؛ لغاية في النفس يدركها كلُّ مَنْ وقف على مقاصد أوروبا

بالعالم الإسلامي. ولذلك لم يكن عجيبًا أن يتواكب ظهور الحركة النسائية في مصر بعد سنوات من دخول الإنجليز مصر».

## القذيفة الثانية: قاسم أمين.

ولم تمضِ خمسُ سنواتٍ حتى كان (قاسم أمين) يردد الآراء الأربعة الأولى لمرقص فهمي في كتابه (تحرير المرأة).

ووقف علماء الأمة المخلصين في وجه هذه الدعوة، وفتح (مصطفي كامل) جريدته للرد على قاسم أمين، وأشار في إحدى خطبه إلى هذه الدعوة، فقال: «إني لست مِمَّن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المبادئ الأوروبية، فإن ذلك خطرًا كبيرًا على مستقبل الأمة، فنحن مصريون ويجب أن نبقي كذلك، ولكل أمة مدنية تخصها، فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليدًا أعمى».

## القذيفة الثالثة: مجلة السفور

في فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م)، اعتقلت السلطات الإنجليزية رجال الحزب الوطني ـ الذي كان زعيمه مصطفي كامل ـ وانتهز أنصار الدعوة النسائية الفرصة، فأصدروا مجلة (السفور) التي أخذت تروِّج لدعوات نزع الحجاب.

ورغم ذلك فإنه في سنة ١٩١٩م كانت المتظاهرات من النساء يخرجن وعلى وجوههن البرقع والحجاب.

## القذيفة الرابعة: الاتحاد النسائي.

بعد ثورة ١٩١٩م تلقت (هدى شعراوي) دعوة لحضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما عام ١٩٢٢م، فلما عادت كوَّنت (الاتحاد النسائي المصري) عام ١٩٢٣م.

وهدى شعراوي هي ابنة محمد باشا سلطان، الذي كان يرافق جيش الاحتلال في زحفه على العاصمة، ويدعو الأمة إلى استقباله، وعدم مقاومته، ويهيب بها أن تقدم كافة المساعدات، وقد سجل له التاريخ أنه قَدَّم هدية من السلاح الفاخر لجيش الاحتلال شكرًا له على إنقاذ البلاد، وقوبلت خدمات سلطان باشا بأن أنعم عليه الإنجليز بالنياشين وبلقب (سير).

فلا عجب أن يكون الاتحاد النسائي بوقًا لترديد ما يطلبه المستعمر، وهي نفس أهداف مرقص فهمي.

وتحضر (الدكتورة ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي بنفسها إلى مصر في هذه الفترة؛ لدراسة تطور الحركة النسائية وتدعيمها.

## القذيفة الخامسة: المؤتمر النسائي العربي.

وذلك سنة ١٩٤٤م، وكانت قراراته هي الأفكار السابقة نفسها. وقد لقي استياءً كبيرًا في الأوساط الإسلامية، ولكن كانت الدوائر الأجنبية ترحب به وتهلل له، حتى أن حَرَمَ الرئيس الأمريكي

(روزفلت) أرسلت برقية إلى المؤتمرين بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٤م هذا نصها:

«يسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحادات النسائية في مختلف بلاد الشرق العربي، والواقع أن نفوذ النساء يتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم، وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في باقي بلدان العالم؛ أملا في نشر التفاهم والسِّلم العالمي في المستقبل».

## القذيفة السادسة: [ الحزب النسائي ]

وتَكَوَّن سنة ١٩٤٥م على نفس الأهداف القديمة، ولكن لم يُعَمِّر طويلا؛ بسبب وفاة رئيسة الاتحاد النسائي (هدى شعرواي) وفقدانه مصدر التمويل الأجنبي بسبب الحرب العالمية الثانية.

## القذيفة السابعة: [ حزب بنت النيل ].

وتكوَّن سنة ١٩٤٩م وأصدر مجلة بالعربية، والفرنسية، ومجلة للأطفال، وسافرت رئيسة الحزب (درية شفيق) إلى إنجلترا، وقُوبِلَتْ بحفاوة شديدة، وعُقِدَتْ معها اللقاءات؛ منها لقاء مع جريدة إنجليزية نشرته جريدة (المقطم) سنة ١٩٥١م[1]، جاء فيه: «إن الأهداف المباشرة

(١) ماتت رئيسة الحزب (درية شفيق) منتحرة، بعد أن أصابها الاكتئاب في آخر أيام حياتها راجعي كتاب (امرأة مختلفة - درية شفيق) تأليف سنثيا نكسون، ترجمة أحمد سالم، المشروع القومي للترجمة (١١٥) المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٩م.

لحزب بنت النيل هي: منح المرأة حق الاقتراع، وحق دخول البرلمان، وإلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوروبية في مصر».

وللعلم فإن الإحصائيات الرسمية في مصر سنة ١٩٤٧م، تدل على أن نسبة الطلاق في القاهرة ٢,٥٪، وفي وجه بحري ٨ في الألف، وفي وجه قبلي ٦ في الألف، كما أن تعدد الزوجات لا يزيد على ٣,٥ في المائة»[١].

فالمشكلة لا وجود لها في بلاد الإسلام، ولكنه الحقد على الإسلام، ومحاولة النيل من شريعته جزءًا جزءًا. والمشكلة في الحقيقة مشكلتهم هم، فبالمقارنة نجد أن في نفس هذه السنوات كانت نسبة الطلاق في إنجلترا ٢٠٪، وفي أمريكا ٣٠٪، أما تعدد الزوجات فقد حل محله هناك تعدد العشيقات، حتى بلغ عدد أبناء الزنا نسبة مروِّعة، ونسبة اللاتي مارسن العلاقات المحرمة قبل الزواج ٧٠٪، وذلك من مصادرهم.[٢]

وأما حزب بنت النيل ورئيسته فقد كشفت الأحداث أن الممول الأساسي له كانت إنجلترا وفرنسا؛ وذلك بعد أن ظهر البذخ الشديد في الإنفاق على هذا الحزب.

---

(١) زادت هذه النسبة كثيرًا في هذه الأيام.

(٢) ارتفعت هذه النسبة في هذه الأيام، حتى أصبح الأصل هو العلاقات خارج الزواج، والانفصال بين الأزواج إمَّا رسميًا وإما جسديًا، وارتفعت نسب حمل المراهقات، واللقطاء، وعائلات الفرد الواحد (أي الأم لطفل لا تعرف له أب، أو الأب لطفل ألقته أمه وولَّت هاربة) انظري في ذلك كتاب (قواعد تكوين البيت المسلم) للمؤلف.

وبعد عودة رئيسة الحزب من إنجلترا بأسبوع حضرت (سمر سكيل) وزيرة الشؤون الاجتماعية الإنجليزية، وقضت أسبوعًا في مصر عقدت فيه العديد من الاجتماعات، وختمت الزيارة بحديث إلى الإذاعة المصرية قالت فيه: «إنني أتحدث إليكم كامرأة وطنية ومُصْلِحَة، ولن تكسبوا معركةَ خيرِ الأسرة ورفاهيتها إلا إذا اشتركت المصريات مع المصريين في الكفاح على قدم المساواة».

والعجيب أن هذه الوزيرة التي تتحرَّق على خير الأسرة المصرية لم تستنكر أن حكومتها تحتل مصر.

## القذيفة الثامنة: [ مظاهرة الجامعة الأمريكية ].

وخرجت هذه المظاهرة وبها بضع عشرات من فتيات حزب بنت النيل، والاتحاد النسائي القديم، وبعض الشباب، وتوجهن إلى البرلمان هاتفين بالحقوق السياسية للمرأة.

وبعدها خرجت مظاهرة أخرى من طالبات المدارس إلى قصر عابدين، ورفعن لافتات كُتِبَتْ بالدماء.

ورحبت الدوائر الأجنبية بهذه الحركات، وبدأت البرقيات من الاتحادات النسائية العالمية تُرْسَلُ بالتأييد لهذه المظاهرة التي لم تتعدَ بعض الحركات المسرحية.

ولسنا في معرض الردِّ على شبهات هؤلاء، وأن الإسلام بريء من تلك

التحركات المشبوهة، والتي اجْتَرَّت صاحباتها دعاوى الاستعمار.

ولكن نقول: إن القذائف لم تقف عند هذه الحدود، بل استمرت ولم تقف؛ حتى أصبح حال المرأة المسلمة كما نراه اليوم، وتبعًا له كان حال الأسرة والمجتمع كله.[1]

**قذائف الباطل**

- مرقص فهمي (المرأة في الشرق) .
- قاسم أمين (المرأة الجديدة).
- مجلةالسفور (الحرب العالمية الأولى).
- الاتحاد النسائي (هدى شعراوي).
- المؤتمر النسائي العربي (١٩٤٤م).
- الحرب النسائي (١٩٤٥م) .
- بنت النيل (درية سفيق).
- مظاهر الجامعة الأمريكية.

(١) انظري في ذلك كتاب (الأسرة المسلمة في العالم المعاصر) للمؤلف، البحث الحائز على جائزة وزارة الأوقاف القطرية العالمية عام ٢٠٠٠م.

وللأسف فقد انتصرت هذه الحركات في كثير من الميادين، ولو انتصرت في كل الميادين - لا قدَّر الله - لرأينا وطننا الإسلامي صورًا ممسوخة من بلاد الغرب، الذين يستخدمون المرأة تجارة رائجة في كل شيء.

## حقيقة الواقع

بعد هذا العرض الموجز لحقيقة الحرب التي وُجِّهَتْ إلى الإسلام عامة، وإلى المرأة المسلمة خاصة نقول:

أين مكان الأخت المسلمة اليوم؟

وما الدور الذي يجب أن تنهض به؟

وهل هي مستعدة لأن تتحمل صدمات هذا الواقع، وتصبر على تكاليفه؟

هذه الأسئلة سألها (الشيخ محمد عبد الله الخطيب) في الجزء الأول من كتاب (طريق الأخت المسلمة)، وقبل أن يجيب على هذه الأسئلة عرض نماذج للمرأة المسلمة بعد هذه الحرب الشعواء التي شُنَّت عليها وعلى دينها وعلى قِيَمِها، فكانت هذه الأنواع من النساء:

### ١- المرأة العَصريَّة:

أو هكذا تُسَمِّي نفسها، وتظن أن معنى العصرية هو مخالفة كل التقاليد والقيم، وتسمي هذا كله قيودًا وتخلفًا وتزمتًا، ترفض أن

تكون أمًّا أو أختًا أو زوجة؛ لأن هذا كله يذكِّرها بأنها أنثى، ويبعدها عن مجال منافسة الرجال في المجتمع.

تراها هناك تحت يد الكوافير، وأمام المرآة، وفي جلسات الغيبة، وأمام وسائل اللهو، ثم نراها خالعة أردية الحياء والستر، وتظن أن العصرية هي إبراز أكبر جزء من مفاتنها.

ثم نراها وقد وقعت في براثن الشيطان؛ إما راقصة باسمُ الفن، أو.. أو.. وهكذا، وهي لا تعض أصابع الندم، بل ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]

## ٢- المرأة المضطربة:

وهي تلك التي عندها بقايا قيم ودين، ولكن ترى النموذج العصري فتحسده، وتظن أنها مقيدة نفسها، وتقبل التقاليد على مَضَضٍ، وهي على شَفَا الهاوية، تكاد تلحق بسابقتها، ولكن نمد لها يد العون ونقول:

**أولا**: عودي إلى الإيمان في قلبك، الذي يقول لك: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى: ٣٦]

ثم أعيدي هذا الاضطراب إلى نفسك؛ لتسألي السؤال المضطرب، إما أن نختار الرفاهية والانطلاق والحرية، وإما أن نختار الإسلام والقيود.

وأسألك: ولماذا تعتبرين أنهما طرفي نقيض؟

اسمعي قول ربك -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]

فالمشكلة مشكلة فَهْمٍ وعلم، فتعرَّفي على إسلامك كما عرضناه في هذا الكتاب(١)، وستجدين أنك تستطيعين أن تعيشي الدنيا بكل حذافيرها، وترتقين مع الإسلام بكلِّ سموٍ وعلوه.

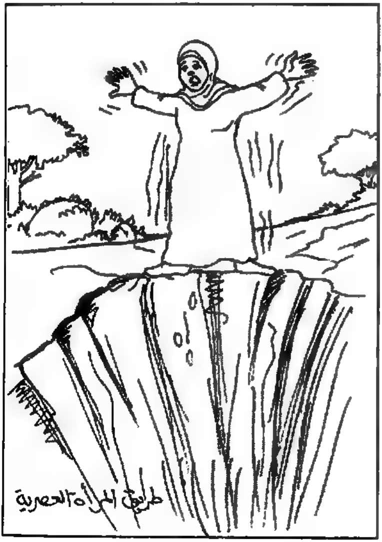


## ٣- المرأة الحائرة:

وهي التي التزمت بالعبادات والأعراف والتقاليد؛ وذلك لأنها نشأت في بيئة محافظة، لم يكن هَمُّها إلا تقييد تلك الفتاة؛ مخافة المَعَرَّة، فلم تزودها بالمعرفة والإيمان اللازمين لأن تحب دينها، وتهوى هذا الالتزام، فتجدها وهي في صلاتها

(١) سلسلة (المرأة وإدارة الذات) تعتبر تعريفًا مبسطًا بكل جوانب الإسلام (نظريًا وعمليًا).

ترنو بطرف القلب إلى هناك؛ حيث اللعب واللهو الخارجَيْن عن الإسلام، حيث العصرية العرجاء.

وأظن أن ما قلناه لأختها ذات الإيمان بلا علم (المضطربة) نقوله أيضًا لتلك الحائرة ذات الالتزام بلا يقين ولا علم.

## ٤ـ المسلمة المهاجرة إلى ربها:

وهي التي تنشأ في جوٍّ بعيد عن الإسلام، ولكن تَحَرَّكَ الإيمان في قلبها، فأرادت أن تترك عصريتها التي لم تَرَ منها إلا الضياعَ، واضطرابها وحيرتها، مما جعلها تسير بلا هدف ولا روح، ونناي هذه الأخت الفاضلة بما ناداها به ربُّها:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۞ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ۞ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٨].

نقول لها: عليكِ أن تجيبي عن الأسئلة التي بدأنا بها في هذه الفقرة:

أين مكانك في الصف المسلم؟

ما الدور الذي يجب أن تنهضي به؟

وهل أنت مستعدة لتحمل صدمات هذا الدور، وأن تصبري على تكاليفه؟

ولا تجيبي وحدك، ولكن ضعي يدك في يد أختك التالية.

## ٥ـ المسلمة الداعية:

وهي ريحانة هذه النماذج، وهي المحفوفة بعناية الله، تحب دينها، وتعبد ربها، وتتبع نبيها.

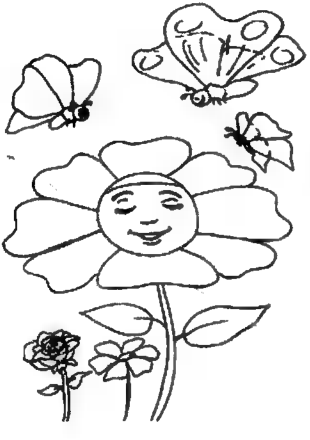

رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا.

تعتبر بيتها أمانة، وزوجها أمانة، وابنها أمانة، وتقوم بأداء الأمانة، وتحتسب أجرها عند الله.

تقتدي بأمهات المؤمنين، ونساء الصحابة، إذا اقتدى غيرها بالفنانين والفنانات.

وتتخذ القرآن رسائل من ربها، تتلوها آناء الليل وأطراف النهار، وتعمل بها، وتهتدي بهديها، وتعتبر الإسلام هو الأمانة الكبرى لديها، وتنادي بكرةً وعشيًّا: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وأنتِ ـ أيتها الأخت الفاضلة ـ قد علمتِ الآن الإجابة عن تلك الأسئلة التي دارت بيننا، وعلمتِ ما يُحَاكُ لدينك، وعلمتِ دورَكِ بالتحديد.

وأصبحتْ علاقتكِ بالله وبالإسلام وبالعاملات من الداعيات ليست مجرد علاقة ثقافية معرفية، ولكن تحولتْ ثقافتُكِ إلى سلوكٍ عمليٍ مع نفسك؛ في علاقتك مع الله، ومع الأخريات في أخذ أيديهن إلى الله، وامتدت يدك لتضعينها في يد العاملات مثلك، أصحاب الهم الواحد؛ لتعلنوها مدوية:

**أنواع من النساء**

- المسلمة المهاجرة إلى ربها
- المسلمة الداعية إلى الله
- المرأة العصرية
- المرأة المضطربة
- المرأة الحائرة

الكُفُوفُ فِي الكُفُوفِ فَاشْهَدُوا عُهُودَنَا
الثَّبَاتُ في الصُّفُوفِ وَالْمَضَاءُ وَالفَنَا
الْمِؤُونَ وَالأُلُوفُ فِدْيَةٌ لِدِينِنَا
بِالكِتَابِ شِرْعَةً وَالرَّسُول قُدْوَةً
واليقينِ عُدَّةً

## الإسلام وأعدائه

- المرأة المسلمة هدف من أهداف أعداء الله، فقد أدركوا أن الهجوم عليها هجومٌ على أهم قلاعه الحصينة.
- بالهجوم على المرأة المسلمة يتم هدم أركان الأسرة، وبالتالي المجتمع، ومِنْ بعده الأمة.
- بدأت قذائف الباطل في العصر الحديث في نهاية القرن التاسع عشر، واستمرت على يد أصحاب رايات تحرير المرأة.
- **أنواع النساء اليوم:**

المرأة العصرية، والمضطربة، والحائرة، ثم المسلمة المهاجرة إلى ربها، وأخيرًا: المرأة الداعية، التي عرفت دينها، وفهمت إسلامها، وأيقنت دورها، وانطلقت تحمل الرايات ترجو رضى ربها.

# الباب الثاني

# أركان ثقافة الفكر

١- الثقافة الشرعية

٢- ثقافة الحياة

## طلب العلم فريضة

في أول بحثنا هذا تحدثنا عن العلم وأهميته، وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولهذا الحديث قصة طريفة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». [(١)]

ومعلوم من اللغة أنه إذا ذُكِرَ اللفظ بالتذكير فإنه يعبر عن الذكر والأنثى، إلا إذا كان هناك تخصيص للرجال، أو استثناء للنساء، وسمعت أحد الخطباء يذكر نصَّ هذا الحديث هكذا: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

فقال لي أحد السامعين وقد انتشى بقصاصات مِنْ علم: هذا حديث ضعيف، فرجعت إلى معلوماتي، وتأكدت أن كلمة مسلمة لم ترد في الحديث وأن الصحيح بدونها، وفهمت أن الخطيب لم يفهم أن عموم

(١) رواه ابن ماجة، كتاب (المقدمة)، باب: (فضل العلماء والحث على طلب العلم).

كلمة مسلم تدل على المسلم والمسلمة، وإلا لم يضطر إلى إدراج كلمة (ومسلمة) زيادة في الحديث الصحيح، وواضح أن الحديث بدونها يدل عليها أصلا، كما أن خطاب القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعم المؤمنين رجالا ونساء إلا ما خصص.

وعدت إلى زفيقي أبيِّن له وجهة نظري، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: المسلم، ولم يقل: المسلمة، وهذا من الإعجاز؛ فكأنه اطلع على الغيب، وعلم الوباء الذي سيصيب الأمةَ مِنْ خروج المرأة للتعليم.

لم أستطع أن أبادل هذا الصديق جداله بجدال، ولكن عجبت أن ينتسب مثله إلى أمة أَخْرَجَتْ هؤلاء العظماء والعظيمات من سلفنا الصالح، وأدركتُ أيَّ خطر أصاب وسيصيب أمتنا إذا ساد مثل هذا، أو تصدر للوعظ والفتوى.

> وباعتبار المرأة نصف المجتمع، وأنها تقوم بدور أساسي ومحوري - وهو التربية - تنبع أهمية الثقافة بالنسبة للمرأة؛ فهي تربي نفسها وغيرها، فوجب عليها إدراك حقيقة دورها في المجتمع.

فإذا أردنا تقدمًا وازدهارًا وتعلُّمًا صحيحًا للمجتمع فلن يأتي ذلك إلا من خلال هذا المنبع والمصدر الأصيل الصافي؛ ألا وهو المرأة

المثقفة العَالِمَة؛ كما قال الشاعر أحمد شوقي:

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأعْـرَاقِ

فكانت نظرة عميقة من أمير الشعراء نحو أهمية إعداد المرأة، التي ستصبح أمًّا، والتي من خلالها نستطيع تربية شعب بأكملـه، وإعـداده لنهضة حضارية ينافس بها بقية الأمم.

## أنواع الثقافات المطلوبة للمرأة المسلمة

ونظرًا لتعدد واجبات المرأة المسلمة في حياتها تعـددت الثقافـات المطلوبة منها، وكانت على قسمين:

١ - الثقافة الشرعية.

٢ - ثقافة الحياة (الثقافة العامة).

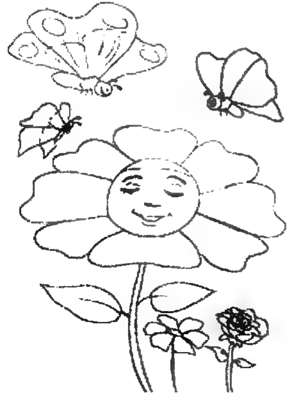

## الفصل الأول

# الثقافة الشرعية

والمقصود بها العلوم الشرعية التي لها علاقة بالشرع؛ أي أن مصادرها مستمدة من الكتاب والسنة أو ما يخدمهما.

**وتنبع أهمية هذه العلوم من أمرين:**

**الأول: الجانب العلمي**، فهذه العلوم تهم المرأة في كل حياتها؛ في عبادتها وعلاقتها مع الله، في معاملاتها وسلوكياتها مع الناس، في التعامل مع الوالدين، والزوج، والأبناء، وذوي الأرحام، والجيران، في البيع والشراء، وغيرها من الأمور.

**الثاني: الجانب الدعوي**؛ حيث أن المرأة المسلمة على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، وعيب كل العيب أن تترك تلك المتبجِّحات

على شرع الله ودينه بدعوى حرية المرأة دون أن تواجههن.

إني أحلم بيوم أجد فيه عشرات المؤمنات يملأن قاعات المؤتمرات والندوات، وشتى وسائل الإعلام، يبارزن هؤلاء المتنكرات لدينهن وأمتهن، ويصرعونهن في ميدان الفكر.

وقد وضَّحنا مختصرًا لقاعدة انطلاق المرأة الثقافية في الباب الأول، ونعرض هنا لمصادر هذه الثقافة.

## المكتبة المنـزلية.

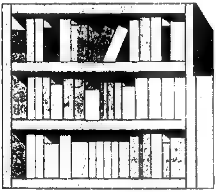

وأريدك -أختي المسلمة- أن تكوِّني مكتبة صغيرة في بيتك تتميز بالتنوع والبساطة؛ لتكون مرجعًا لكِ في طريقك إلى الثقافة الشرعية.

وقد وردت مقترحات كثيرة في أكثر من كتاب من أجل تكوين تلك المكتبة:

١- كتاب (الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل) لمحمود محمد الجوهري.

٢ـ وكتاب (طريق الأخت المسلمة) الجزء الأول، للشيخ محمد عبد الله الخطيب.

وسوف نتخير منهما ما يكوِّن لك مكتبة صغيرة تعينك على أن تكوني مثقفة الفكر(١).

**الثقافة الشرعية**

- القرآن
- السنة
- العقيدة
- التزكية (أخلاق القلب الجوارح)
- تاريخ الإسلام
- سيرة النبي ﷺ وتاريخ الدعوة
- فقه(العبادات والمعاملات)

## أولا: في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم، وصراطه المستقيم، أنزله على نبيه منهاجًا قويمًا، ودستورًا خالدًا، وشريعة محكمة، يَسْعَدُ بها

(١) من الكتب القيمة في هذا المجال كتاب (دليل مكتبة الأسرة المسلمة) لعبد الحميد أحمد. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ط٢، ١٩٩٣م.

البشر في الدنيا والآخرة.

فعلينا أن نستمسك به، ونعتصم بكل ما فيه؛ نقرؤه ونتدبره، ونحفظه، ونتعرف مقاصده، ونستمع ونخشع له، ونتخلق بآدابه، ونطبِّقها في أنفسنا، وبيوتنا، وأولادنا، ومجتمعنا، وسوف نفرد حديثًا مفصَّلًا عنه عند الحديث عن الإيمان بالكتب.(١)

## كيف نتعامل مع القرآن؟

ونشير إلى المعاني الآتية عند التعامل مع القرآن:

١-يلزم المسلمة أن تتزود من القرآن الكريم بما يعينها على فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتوثيق الصلة بكتاب الله، وسنة رسولهﷺ.

(١) الكتاب السادس (سليمة العقيدة).

٢- ضرورة القراءة الصحيحة، ومعرفة علم التجويد؛ تنفيذًا لقول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وذلك عن طريق حلقة لتعليم التلاوة.

٣- الإكثار من التلاوة، ومحاولة الحفظ ولو ثلاث آيات يوميًّا.

٤- حفظ الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم، والإلمام بتفسيرها، من (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، و(في ظلال القرآن) لسيد قطب.

## الركن القرآني

وعلى هذا نقول لكِ: أنت تحتاجين لكي تكوني مثقفة في القرآن الكريم إلى اتباع الآتي، وأن يحتوي ركن القرآن في مكتبتك على الكتب الموضحة.

١- تعلم أحكام التلاوة، ولا يكون ذلك على وجهٍ صحيح إلا بالتلقي، فداومي على حلقة مسجدية، أو مدرسة لتعليم تجويد القرآن.

٢- قراءة كتاب حول كيفية التعامل مع القرآن؛ مثل: (التبيان في آداب حملة القرآن) للإمام النووي.

٣- حفظ الجزأين الأخيرين من القرآن كمرحلة أولى، ثم إتمام الخمسة أجزاء الأخيرة.

٤- حفظ مواقع مختارة من القرآن، مثل أوائل (المؤمنون) وأواخر (الفرقان) وأواخر(الحشر) والآيات الواردة في ورد (البيت السعيد)[١].

٥- أن يكون لكِ ورد قراءة وسماع يوميًا لا يقل عن جزء، قسِّميه بين التلاوة والسَّماع.

٦- قراءة كتاب مبسط في التفسير، وأقله كتاب: (كلمات القرآن) لمخلوف، أو (تفسير الجلالين)، كمرحلة أولى، ثم التوسع من كتاب (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، و (في ظلال القرآن) لسيد قطب.

## ثانيًا: في السنة المطهرة.

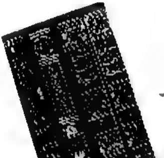

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي شارحة للكتاب، ومفصِّلة لأحكامه.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [النساء: ٥٩]

(١) سورة المؤمنون (١ - ١٠) سورة الفرقان (٦٣ - ٧٦) سورة الحشر (٢٠ - ٢٤) وانظري (ورد البيت السعيد) في كتاب (أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا) للمؤلف.

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

وفي الحديث الشريف: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا». (١)

وقد بذل العلماء من لدن صحابة رسول الله ﷺ إلى اليوم جهودًا عظيمة في حفظ السنة وتدوينها، حتى كانوا يقطعون آلاف الأميال، ويمضون الأيام والليالي في طلب الأحاديث.

روى الإمام مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: «إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

وعن بُسْرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ لأَرْكَبُ إِلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ لأَسْمَعَهُ». (٢)

وقد ألف الخطيب البغدادي كتابًا سماه (الرحلة في طلب الحديث)

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (المناقب)، باب: (مناقب أهل بيت النبي).

(٢) رواه الدارمي بسند صحيح، كتاب (المقدمة)، باب: (الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه).

ذكر فيه أمثلة كثيرة ومواقف وأقوال إن دلت على شيء فإنما تـدل علـى الجهود العظيم الذي بُذِلَ في طلب حديث رسول الله ﷺ، ولذلك وجـب على المرأة المسلمة أن يكون لها حظ في هذا المجال. [١]

## النساء عالِمات حديث

فهذه السيدة عائشة - رضـي الله عنهـا - روت مـا يبلـغ ألفـين ومائتين وعشرة أحاديث في البخاري ومسلم وكتب السنن.

وهـذه ابنـة الإمـام مالـك بـن أنـس؛ كـان الإمـام مالـك يُقْـرَأُ عليه الموطأ، فإن أخطأ القارئُ في حرف أو زاد أو نقـص تـدق ابنتـه الباب، فيقول أبوها للقارئ: ارجع فالغلط عليك.

وهذه عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية؛ تربية عائشة وتلميذتها، كانت عالمة فقيهة.

عن القاسم بن محمد أنه قال لابن شهاب: يا غلام، أراك تحرص علـى طلـب العلـم، أفـلا أدلـك علـى وعائـه؟ قـال: بلـي، قـال: «عليـك بعمـرة؛ فإنهـا كانـت في حِجْـر عائشـة – رضـي الله عنها –. قال: فأتيتها، فوجدتها بحرًا لا ينـزف». [٢]

(١) يراجع كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور مصطفى السباعي.
(٢) انظري قصصهن وترجماتهن في (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي.

وهذه ابنة سعيد بن المسيب؛ لَمَّا أن دخل بها زوجها، وكان من تلاميذ والدها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك عِلْمَ سعيد.

وهذه زوجة الحافظ الهيثمي (وهي ابنة شيخه الحافظ العراقي) كانت تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث.[1]

فهذه ـ أختي المسلمة ـ نبذة يسيرة جدًّا عن اللاتي حملن هذا العلم من نساء هذه الأمة، وما عليكِ إلا أن تقتفي أثرهن؛ حتى تكوني ضمن قافلة الخير والعلم، فلتخلعي عنك ثوب الكسل والراحة والدعة، ولتلبسي ثوب الجد والاجتهاد وعلو الهمة، فتكونين كَمَنْ سَبَقْنَكِ؛ تؤثِّرين فيمَنْ حولك، لتأخذينهن معك نحو المعالي.

وعلى المسلمة أن تأخذ بنصيب وافر من هدي النبي ﷺ؛ فهو القدوة والأسوة، وعليها أن تأخذ نفسها بكل ما يعينها على تطبيق وتنفيذ ما جاء به الرسول ﷺ.

## ركن السنة

ويكون منهجك مع السنة النبوية – مع تواجد الكتب المبيَّنة في ركن السنة بمكتبتك – ما يلي:

(١) المصدر السابق.

١- تنفيذ السنن العملية في حياتنا وأحوالنا كلها، مع حفظ المأثور في ذلك، ومن خير المصادر في ذلك كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي.

٢- حفظ ودراسة ما لا يقل عن أربعين حديثًا نبويًّا تدور حول العقائد والعبادات والأخلاق والدنيا والآخرة، من كتاب (رياض الصالحين) أو (الأربعين النووية) للإمام النووي.

٣- دراسة أحوال النبي ﷺ في بيته مع زوجاته، وشأن زوجاته معه، ويُرَشَّح في ذلك كتاب (حياة الصحابة)، أو كتاب (سيدات بيت النبوة) لبنت الشاطئ.

٤- يستحسن - كمرحلة ثانية - دراسة رسالة مختصرة جدًّا حول مصطلح الحديث، ومطالعة كتاب حول السنة ومكانتها في التشريع، والدفاع عنها ضد أعدائها ومنكريها، مثل كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور مصطفى السباعي.

## ثالثا: في العقائد:

الاعتقاد هو التصديق القلبي واليقيني بكل ما أخبر به الإسلام، مما يغيب عن حِسِّنا، وما يكون بعد موتنا وبعثنا.

والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر وما فيه،

وبالقدر خيره وشره أمور يجب أن يعرفها المسلم، وتعرفها المسلمة ابتداء كأركان للإيمان، وتؤخذ من مصادرها الوثيقة التي تقيم في النفس الاعتقاد الصحيح.[1]

ومنهجنا أن نلم بالأمور العقدية والغيبية وما يتصل بها من الكتاب والسنة، ونتناولها في يسر وسهولة، ونسلك فيها منهج القرآن بعيدًا عن الفلسفة والتعقيد وبراهين الجدليين، وفي العقائد يجب الإلمام بما يلي:

أ ـ الله (سبحانه وتعالى)؛ قدرته وإرادته، وعلمه وإحاطته، وقضاؤه وقدره، والكون وما فيه، والملائكة، والحَفَظَة، والجن، والرسل وما أمروا به، ومعجزات الرسل، والمؤمنون والكافرون، وجزاء الفريقين في الدنيا والآخرة، والإيمان والإسلام، والقرآن والكتب السماوية السابقة، والدنيا والآخرة، والموت، والقبر، وسؤال الملكين، والبعث والحشر والحساب، والجنة والنار، وخلود المؤمنين والكفار.

ب ـ دراسة جهود الغربيين والمبشرين والمستشرقين في إضعاف عقائد المسلمين والتشكيك فيها، والرد عليها.

(١) وسوف نتوسع في الحديث عنها في الكتاب السادس من هذه السلسلة (سليمة العقيدة).

ولا يصح الاكتفاء بالدراسة النظرية للعقائد، ولكن لا بُدَّ أن يكون معها نوع آخر من الدراسة يتلخص في:

١ - دراسة الكون المنظور. والقرآن يمتلئ بتلك الآيات التي تدعونا إلى أن نتعرف على الله من آثاره الموجودة في الكون.

٢ - دراسة تاريخ الأمم السابقة. وقد أفرد القرآن المكي الحديث المطول عن قصص الأمم السابقة.

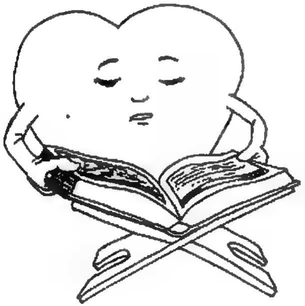

٣ - معرفة أمراض القلوب التي تنافي الاعتقاد السليم؛ مثل: الكبر والعجب والرياء وعدم التوكل.[1]

وبجانب ما ورد في هذه الرسالة حول معنى الدين والإسلام، نوصي بدراسة الكتب التالية على مرحلتين:

(١) انظري الكتاب الثاني (زينة المرأة حسن الخلق)، باب (من أخلاق القلب)، وراجعي (إحياء علوم الدين) ربع المهلكات.

## مرحلة أولى

١- (تعريف عام بدين الإسلام) للأستاذ علي الطنطاوي.

٢- (مبادئ الإسلام) للمودودي.

٣- (الخصائص العامة للإسلام) للقرضاوي.

٤- (العقائد الإسلامية) للشيخ سيد سابق.

## مرحلة ثانية

١- (رسالة العقائد) للإمام حسن البنا.

٢- (سلسلة العقيدة) للدكتور عمر سليمان الأشقر.

٣- الإيمان (حقيقته وأركانه ونواقضه) لمحمد نعيم يس.

٤- (تبسيط العقائد الإسلامية) للشيخ: حسن أيوب.

## رابعًا: فقه العبادات والمعاملات.

الأخت المسلمة لا بُدَّ وأن تكون عارفة بدينها، تفقه أمور عبادتها «من يردِ اللهُ به خيرًا يفقهه في الدين».

وكان من دعاء النبي ﷺ: «... رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى

(١) رواه النسائي، كتاب (السهو)، باب: (نوع آخر من الدعاء).

**الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».** [١]

كما يدل على فضل الفقه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: **«النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا».** [٢]

## ركن الفقه

ونوصي الأخت المسلمة بما يلي، فضلا عما نختاره لها من كتب الفقه ليكون ركنًا مهمًا ورئيسًا في مكتبتها:

أ - دراسة أبواب (الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج)، ومعرفة أحكامها، وأركانها، وشروطها، وما يتصل بها، خاصة ما يتصل بالمرأة في أحوالها المختلفة؛ من حيض وحمل ونفاس، وغير ذلك [٣].

ب ـ دراسة فقه الأسرة، وضوابط المجتمع، وحدود الاختلاط، والمحارم من الأقارب، والأمور التي تتصل بالمرأة ومنها: الزي، وتحديد العورات، والآداب الشرعية للمرأة في البيت

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (العلم)، باب: (ما جاء في فضل الفقه على العبادة).

(٢) رواه مسلم، كتاب (البر والصلة)، باب: (الأرواح جنود مجندة).

(٣) وسوف نوضح بعض ملامح العبادة الصحيحة في الكتاب السابع من هذه السلسلة (صحيحة العبادة).

والمجتمع، وما يتصل بذلك من العمل خارج المنزل، وتحديد النسل، والربا، والبيع بالتقسيط، فمن الضرورة الإلمام برأي الإسلام في ذلك كله.

ج ـ التعرف على حقوق الجار، وإكرام الضيف، والاسترشاد في ذلك بأفعال النبي ﷺ.

د ـ دراسة مبسطة عن المعاملات الإسلامية (البيع، والشراء، والكسب، والإنفاق، والادخار، والدَّيْن، والربا والبيع بالتقسيط).

هـ - دراسة فقه الأسرة، والقواعد التي يُبْنَى عليها البيت المسلم، وضوابط الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين. [1]

**ونوصي بالرجوع إلى المصادر الآتية:**

١ـ (فقه السنة) للشيخ سيد سابق.

٢ـ (الحلال والحرام في الإسلام) للشيخ يوسف القرضاوي.

٣ـ (فقه المرأة المسلمة) للأستاذ إبراهيم الجمل، أو (فقه النساء) لمحمد عطية خميس.

(١) يراجع كتاب (**الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**) للمؤلف. وتم – بفضل الله وعونه – إعداد موسوعة متكاملة حول الأسرة للمؤلف بعنوان: (**قواعد تكوين البيت المسلم**.. أسس البناء وسبل التحصين).

## الفقيهات من النساء

ويحسن أن تتعرفي على سيرة أشهر النساء الفقيهات:

فأولهن الصِّدِّيقة بنت الصديق؛ السيدة عائشة -رضي الله عنها-، التي قال عنها عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس».

وبلغ من علوِّ رتبة أم المؤمنين في الفقه أن أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر كانوا يسألونها عن الفرائض (علم المواريث)، ذلك العلم الذي لا يتقنه أي أحد؛ فلا بُدَّ أن يكون عالمًا بالحساب.

وكان الشعبي إمام التابعين يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: «ما ظنكم بأدب النبوة».

يحسن أن تتعرف على سيرة أشهر النساء الفقيهات .

وقد قَسَّمَ الإمام ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) المفتون من صحابة رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أقسام: المكثرون، والمتوسطون، والمقلون، وعَدَّ مِنَ المكثرين سبعة؛ منهم امرأة واحدة، هي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. (١)

وهذه أم الدرداء الصغرى؛ السيدة العالمة الفقيهة، روت علمًا جَمًّا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب،

(١) انظري (إعلام الموقعين) لابن القيم الجوزية، ج١، ص ٣٩.

وعائشة، وأبي هريرة. قال عنها مكحول: «كانت أم الدرداء فقيهة».

وكان الرجال يقرءون عليها في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها - رضي الله عنها - مع المتفقهة، ويشتغل عليها(١) وهو خليفة.

وهذه أم زينب؛ فاطمة بنت عباس البغدادي، الشيخة الصالحة، العالمة المفتية، الفقيهة، المدرِّسة، العابدة، الناسكة، المجاهدة، وكل هذه ألقاب خلعها عليها أهل دهرها، ووصلت بها كلها منتهى حدودها.

كانت تصعد المنبر، وتعظ النساء، وانتفع بتربيتها والتخرُّج عليها خَلْقٌ كثير، وكانت عالمة موفورة العلم في الفقه والأصول.(٢)

## خامسًا: في السيرة النبوية.

ونقصد بالسيرة النبوية المنهاج العملي لحياة الرسول ﷺ، تاريخ حياته من مولده إلى وفاته ﷺ، وجهاده في نشر الدعوة، والمواقف والظروف التي صادفته ﷺ ومعالجته لها.

(١) أي يتعلم بين يديها.

(٢) راجعي سيرتهن في (البداية والنهاية) لابن كثير.

وهي أيضًا سجل حافل بحياة الصحابة (رجالا ونساء وأطفالا) في مكة والمدينة.

فعلى الأخت المسلمة دراستها، والاعتبار بأحداثها، والاستفادة منها فيما نحن بصدده؛ تمكين الإسلام في نفوسنا ومجتمعنا، ودعوة الناس إليه، وعرضه عليهم، ولا نمضي في دراستها كأنها قصة ثم يقف الأمر بها عند هذا الحد، بل على الأخت المسلمة أن تستفيد من وقائعها، وتربط بينها وبين حاضرها، وبينها وبين القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم كان ينزل على رسول الله ﷺ وتمضي به حياة النبي والمسلمين، وتُسَجِّل السيرة كل هذه الأحداث.

## ركن السيرة

ونوصي بدراسة الكتب التالية واقتنائها كلها أو بعضها في ركن السيرة:

١ - (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) للخضري.

٢ - (فقه السيرة) للشيخ محمد الغزالي.

٣ - (فقه السيرة) للبوطي.

٤ - (السيرة النبوية دروس وعِبَر) للأستاذ مصطفى السباعي.

٤ - (الرحيق المختوم) لصفي الدين المباركفوري.

٥ - (هذا هو الحبيب يا محب) للجزائري.

## وسيرة أخرى

بجانب سيرة النبي ﷺ - كمرحلة أولى - على الأخت المسلمة أن تدرس بعض نماذج القدوة، ونجوم الهدى وهي تسير في طريقها إلى إدارة الذات؛ للاهتداء بنورها، واقتفاء أثرها.

١ - سيرة النساء اللاتي ذُكِرْنَ في القرآن الكريم.

٢ - سيرة زوجات الرسول ﷺ. (١)

٣ - حياة الصحابيات في زمن النبي ﷺ، وما بعده. (٢)

٤ - أهم نماذج النساء التابعيات. (٣)

٥ - سيرة النساء المصلحات المعاصرات. (٤)

## سادسًا: في التاريخ الإسلامي:

أ - تدرس الأخت المسلمة الفتوحات الإسلامية، والحضارة الإسلامية، وأثر المسلمين في رقي العالم وتقدمه، وتُعْنَى

---

(١) من مصادر أخبارهن (زاد المعاد في هدى خير العباد) لابن القيم، وموسوعة (سيدات بيت النبوة) لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

(٢) من مصادر أخبارهن كتاب (صور من حياة الصحابيات) للأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا، و(صفة الصفوة) لابن الجوزي.

(٣) من مصادر أخبارهن كتاب (صفة الصفوة) لابن الجوزي.

(٤) من مصادر أخبارهن كتاب (الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية) لمحمد خيال، ومحمود الجوهري.

بتاريخ المسلمين في الأندلس بصفة خاصة.

ب - تتعرف على وحدة العالم الإسلامي، والعوامل التي أدت إلى ضياع هذه الوحدة؛ مثل حملات المغول، والتتار، والصليبيين، على العالم الإسلامي، والخلافة الإسلامية، والعوامل التي أدت إلى غيابها، والغزو الفكري والثقافي والاجتماعي، والتبشير والاستشراق وأثرهما على الأمة الإسلامية، وحركات اليقظة في العالم الإسلامي والضغوط عليها، ووسائل مقاومتها.

جـ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، وموقف الإسلام من الأقليات، ومعاهدات المسلمين مع غيرهم.

د - الأقليات المسلمة في العالم المعاصر، وأحوالها في كل قُطْر.

## ركن التاريخ

ونوصي بالرجوع إلى الكتب التالية في ركن التاريخ بمكتبتك:

١ - (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) للدكتور محمد البهي.

٢ - (حصوننا مهددة من داخلها) للدكتور محمد محمد حسين.

٣ - (الغزو الفكري) للمستشار علي جريشة.

٤ – (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) للندوي.

٥ – (مختارات من موسوعة التاريخ الإسلامي) لأحمد شاكر.

٦ – (الطريق إلى بيت المقدس) للدكتور جمال عبد الهادي.

## سابعًا: التزكية.

إن المهمة التي بُعِثَ من أجلها الرسل هي أن يقيموا الخُلُق في الناس، وقد بُعِثَ رسول الله ﷺ وانحصرت مهمته في أن يتمم مكارم الأخلاق، ويصل الناس بالخالق جلَّ وعلا، ويجعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

يقول ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ**». [(١)]

وقد اتجهت عناية الإسلام إلى الفرد؛ ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، فأحاطه بالرعاية والتقويم، وشرع له ما يصلح به نفسه، ويصلح به ما بينه وبين الله، وما بينه وبين الناس.

وعلى الأخت المسلمة أن تتعرف على حقوقها وواجباتها والتزاماتها في كل موقع من مواقع حياتها، وأن تكون صورة مشرقة للخلق الإسلامي الرفيع.

(١) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند المكثرين)، باب: (باقي المسند السابق).

وقد أفردنا حلقة من حلقات هذه السلسلة لهدف واحد، وهو أن تكون المرأة (متينة الخلق) وكانت أطول الحلقات، درسنا فيها عشرة أخلاق أساسية، وإذا نقص منها شيء كان هناك خلل كبير في أخلاق المرأة المسلمة.

ونوصي بدراسة ما يأتي:

١ - (خلق المسلم) للشيخ محمد الغزالي.

٢ - (مختصر منهاج القاصدين) لابن قدامة.

٣ - الكتاب الثاني من سلسلة (المرأة وإدارة الذات) [ زينة المرأة حسن الخلق ] بجزأيه [(١)].

(١) وانتظري الكتاب الثامن من هذه السلسلة (مُجَاهِدَة لنفسها) والكتاب الأخير (والموعد الجنة) بهما زاد طيب في التزكية والأخلاق.

## الثقافة الشرعية

إذا كان الباب الأول قد وضع مختصرًا مفيدًا لأهم ما ينبغي للمرأة أن تتعرف عليه كأساس لبناء ثقافتها، ولتكون مثقفة الفكر، فإن هذا الباب يضع رؤوس أقلام على أهم مصادر هذه الثقافة.

- هذا الباب يدلكِ على تكوين مكتبتك المنزلية البسيطة، في أهم أركان الثقافة الشرعية:

١ - القرآن الكريم.
٢ - السنة النبوية.
٣ - العقائد.
٤ - الفقه.
٥ - السيرة النبوية.
٦ - التاريخ الإسلامي.
٧ - التزكية والأخلاق.

ولا يعني ذلك أنكِ يجب أن تقرئي كل هذه الكتب، ولكنكِ ستختارين لكل ركن كتبه، ثم يكون لديك مصدر الاطلاع بعد ذلك.

## الفصل الثاني

# ثقافة الحياة

من خلال ما تعرفنا عليه في الباب الأول من أن الإسلام دين شامل ينظم كل نواحي الحياة، وأن الإسلام منهج حياة فإنه يلزم المرأة المسلمة - إلى جانب الثقافة الشرعية التي تعينها على ضبط حياتها على منهج الإسلام - أن تكون لديها ثقافة في الحياة، وإدراك للوسائل التي تتعامل بها مع كل ما حولها، ومَنْ حولها.

ومن أمثلة هذه الثقافة:

١ - الثقافة الأسرية.

٢ - الثقافة المتخصصة.

٣ - الثقافة العامة.

**١ـ الثقافة الأسرية**: ونقصد بها الأمور والقضايا التي ينبغي على المرأة معرفتها، لكونها وثيقة الصلة بها، ولأنها منوطة بتنفيذها؛ ومن هذه الأمور:

أ - فهم دور المرأة في المجتمع.

ب - معرفة مكانة الأسرة في الإسلام، وكيف أن الأسرة المسلمة المعاصرة تواجه الكثير من الضغوط.(١)

ج - معرفة حقوق الزوج والأولاد، ومسؤولية رعاية البيت.

د - دراسة حركة تحرير المرأة.

هـ- اكتساب مهارات التعامل مع الزواج وفهم النفسيات والحوار الدافئ وتجاوز المشكلات الزوجية.(٢)

و- اكتساب مهارات إدارة البيت وتدبير شؤونه، وضبط ميزانيته، ورفع لواء النظام فيه.(٣)

ز- التدرب على مهارات تربية الأولاد واحتوائهم في مرحلة

(١) انظري في ذلك: (الأسرة المسلمة في العالم المعاصر)، و(قواعد تكوين البيت المسلم) للمؤلف .

(٢) راجعي للمؤلف (كيف تبنين بيتًا سعيدًا)، (أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا).

(٣) وراجعي في ذلك (بيوت بلا ديون)، والكتاب الرابع والتاسع والعاشر من هذه السلسلة (الحلال الطيب)، و(مُنَظَّمة في شؤونها)، و(حريصة على وقتها) للمؤلف.

البلوغ والمراهقة، وبناء جسور الحوار والتفاهم معهم.[1]

**٢ـ الثقافة المتخصصة:** ونقصد بها أن تتبحر علميًا في مجال مهنتها وعملها الذي تمارسه؛ حتى تستطيع من خلال هذا العلم الوصول إلى درجة الإتقان الذي أمر به الرسول ﷺ **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»**.[2]

وبتفوقها في مجال مهنتها تصل إلى أعلى معدلات البذل والعطاء لدينها، فتستطيع التأثير على غيرها من النساء؛ لأنها قد أصبحت في مقام القدوة والأسوة بهذا العلو وذاك التفوق، وحتى تستطيع التبحر في مجال مهنتها وتخصصها.

**وينبغي على المرأة مراعاة هذه الأمور:**

١ - استكمال الدراسة الجامعية لمن تستطيع ذلك إذا كانت قد تعثرت لسبب ما.

٢ - الحرص على الرقي في الدرجات العلمية في مجال مهنتها؛ بحصولها على الدبلومات المتخصصة بعد الشهادة الجامعية، فالماجستير فالدكتوراه.. الخ

---

(١) وقد كتبنا في ذلك سلسلة أولادنا (بلوغ بلا خجل) و(مراهقة بلا أزمة) جزأين، و(شباب بلا مشاكل) ٣ أجزاء.

(٢) ذكره الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة).

٣ – الاشتراك في الدَّوريات والمجلات المتخصصة في مجال مهنتها؛ وذلك لمتابعة التطور والجديد في هذا المجال.

٤ – حضور الندوات والمؤتمرات، ومناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه المتعلقة بمجال مهنتها.

■ – المشاركة بالبحوث والآراء وأوراق العمل في المجلات والدوريات والمؤتمرات.

٦ – التفكير الدائم في تطوير ما عندها من خبرات وتجارب في مجال مهنتها.

٧ – التعامل مع شبكة الإنترنت، والمشاركة في منتدياتها وصفحاتها؛ لعرض وجهة النظر الصحيحة، والاستفادة من الحصول على آخر التطورات في مجالها التخصصي.

## أختي المسلمة:

**بهذه الوسائل العملية يمكنك الوصول إلى درجة الإتقان في مجال التخصص المهني.**

## ٣ـ الثقافة العامة:

(بأن تعلم شيئًا عن كل شيء)، فنظرًا لتعدد دور المرأة المسلمة في المجتمع - كما سبق أن ذكرنا - وسعة احتكاكها بكل طبقات المجتمع، وكل طبقة لها اهتماماتها ومجالاتها التي تحب أن تتحدث فيها، فينبغي على المرأة أن تتزود من المعارف والعلوم، وأن تضرب في كل غنيمة بسهم، ونقترح عليها الاهتمام بمعرفة ما يأتي:

١ - دراسة أهم قضايا المسلمين المعاصرة: كالأقليات المسلمة في الهند والبوسنة وجمهوريات الاتحاد السوفيتي، والحريات، والتربية والتعليم، وقضية المرأة وما يعتريها من مشكلات (تدينها، وتعليمها، والزواج ومشكلاته) والغزو الفكري والسياسي والعسكري.

٢ - المساهمة في جوانب الإصلاح العام، والقضايا العامة في المجتمع؛ بأن يكون للمرأة المسلمة دور فيما يأتي:

أ - قضية البيئة وكيفية المحافظة عليها؛ بمعرفة أبعاد القضية، وحضور ندواتها ومؤتمراتها، والمشاركة العملية فيها.

ب - قضية ترشيد الاستهلاك المائي والغذائي.

جـ - قضية القراءة ومحو الأمية؛ وخاصة في الأوساط الشعبية.

د - قضية التكافل الاجتماعي للفقراء والأيتام والأرامل.

هـ - قضية الخصخصة، والنظام الاقتصادي وما يتعلق به، وأثره على المجتمع المصري.

و - قضية الفساد، وانتشار الرشوة في المجتمع، وكيفية مواجهته وعلاجه.

ز - الجمعيات الخيرية، وكيفية الاستفادة منها وتطويرها من أجل نفع المجتمع.

ولا تحسبي أختي المسلمة أن هذه القضايا لا يجب عليك المشاركة فيها - ولو بالمعرفة - لأنها ليست إسلامية، أو لا تدخل في نطاق تخصصك، بل هي من صميم الدين.

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «حَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا».** [1]

وقال ﷺ: **«والخلق عيال الله، أحبهم إليه أنفعهم لعياله»**. [2]

٣ - معرفة شيء عن الإسعافات الأولية.

(١) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند المكثرين)، باب: (باقي المسند السابق).

(٢) رواه البيهقي.

عن عروة قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بالطب من عائشة (رضي الله عنها)، فقلت: يا خالة؛ ممن تعلمت الطب؟ قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه».[1]

فهذا الأمر له أهميته عند المرأة، وذلك لإمكان تعرضها ومَنْ حولها - الزوج والأولاد أو غيرهم - لِمَا قد يضرهم من جروح وحروق وإصابات وكسور، فينبغي أن تعلم ما يحسن عمله في هذه المواقف؛ حتى تقلل من الأضرار ما أمكن.

ويمكن التعرف على هذه الإسعافات عن طريق قراءة بعض الرسائل الصغيرة عن الإسعافات الأولية، وهي منتشرة في المكتبات العامة، أو حضور دورة تدريبية حول هذه الإسعافات في إحدى الجمعيات الطبية.

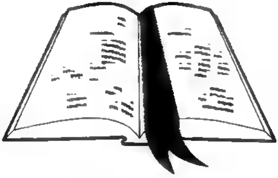

(١) (معركة الحجاب) لمحمد أحمد إسماعيل، ج ٢ ص ٣٩٥.

## ثقافة الحياة

لأن الإسلام نظام شامل كما بَيَّنَّا، وهو منهج حياة فلا بُدَّ للمرأة أن تكون على دراية بالحياة مِنْ حولها، ومن هذا المنطلق كانت هناك أركان ثلاثة لثقافة الحياة، على المرأة أن تتزود منها:

١ - الثقافة الأسرية.

٢ - الثقافة المتخصصة.

٣ - الثقافة العامة.

ولا تعني هذه النصائح أن امرأة واحدة سوف تفعل ذلك كله، وإنما هي المساحة التي لا بُدَّ أن تشغلها المرأة المسلمة الواعية المدركة لأبعاد المؤامرة عليها وعلى دينها. وإن كان هناك القليل الذي لا بُدَّ أن يكون في النساء جميعًا كعلامة على حسن إدارة الذات، إلا أن الباقي يصلح لكل امرأة حسب هواياتها ورغباتها وقدراتها، والحاجة إليها.

# البَابُ الثَّالِثُ

# ضوابط ثقافة الفكر

١ـ واجبات وآداب طالب العلم.

٢ـ ركائز فقه الاختـــــلاف.

كانت جولة طويلة بعض الشيء حول مجموعة الأسس التي رغبنا أن نمحو بها الأمية الدينية للكثيرات، وأن نرتقي بما لدى الأخريات من ثقافة وعلم.

كانت جولة طويلة أردنا من خلالها أن نضع عينيك - أيتها المسلمة الفاضلة - على مجموعة الأسس والأركان التي من خلالها يعلو البناء، وينتظم التاج فوق رأسك، ولكن لا بُدَّ للبناء من زينة، ولا بُدَّ له من استكمال وكمال، ولن يكون ذلك إلا بتلك الضوابط التي نعرضها عليك في هذا الفصل، تلك الضوابط التي تحميك من فتوى عن جهل، أو تأويل بالباطل، أو اختلاف مذموم.

تلك الضوابط التي تلقى مظلة الحب والود على أي لقاء علمي أو ثقافي بينك وبين أخواتك.

تلك المظلة التي تنقلكم في لقاءاتكم وزياراتكم إلى صورة من صور الآخرة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]

## أخلاق اللسان والقلب

وكنا قد أشرنا إلى بعض هذه الضوابط عند الحديث عن أخلاق اللسان، وأخلاق القلب في الكتاب الثاني (زينة المرأة حسن الخلق) من هذه السلسلة؛ سلسلة (المرأة وإدارة الذات)، ونعرض في هذا الفصل إلى ضوابط أساسية لثقافة الفكر تدور حول:

١ - واجبات وآداب طالب العلم.

٢ - ركائز فقه الاختلاف.

# الفصل الأول

## واجبات وآداب طلب العلم

وقد أفضنا في الحديث عن فضل العلم، وأنه مدخل الثقافة في بداية هذا الكتاب، ومن أهم الأسباب التي تجعل للعلم هذا الفضل العظيم سببين:

١ - أن العبادة بلا علم طريق إلى البدع، وما وقع المبتدعة فيما وقعوا فيه إلا عن جهل؛ ولأن العلم مادة الدعوة إلى الله - جل وعلا -، ودعوة إلى الله بلا علم قد تضر ولا تنفع، وقد يصاحبها الانحراف والضلال.

٢ - الداعية بلا علم كواقف على شاطئ البحر ينتظر وينظر، فإذا الأمواج تتقاذف سمكة من الأسماك يمنة ويسرة، تطفو بها تارة، وتغوص بها أخرى، فيشفق عليها مما هي فيه، فيأخذها، ثم يرميها

على الشاطئ ظنًا منه أنه أنقذها، وما علم أنه أهلكها. وإن للخير سبلا، وكم من مريد للخير يجهل العلم فلا يدرك هذا الخير.

## اولاً: ثمار العلم النافع

### ١- طريق الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**».(١)

### ٢- صداقة الملائكة.

عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: «**أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ. قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَفْعَلُ**».(٢)

### ٣- استغفار الكائنات.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ؛ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ**».(٣)

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: (العلم)، باب: (فضل طلب العلم). وقَالَ: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ)).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: (الدعوات)، باب: (في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله).

(٣) رواه ابن ماجة، كتاب: (المقدمة)، باب: (ثواب معلم الناس الخير).

### ٤ـ الخيرية.

عَنْ عُثْمَانَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[(١)].

### ٥ـ النضارة والوضاءة.

فتجد وجوه طلبة العلم المخلصين عليها النور وعليها الوضاءة في الدنيا وفي الآخرة ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[(٢)].

### ٦ـ جند الله

يقول رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين».

---

(١) رواه البخاري، كتاب (فضائل القرآن)، باب: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

(٢) رواه الترمذي، كتاب (العلم)، باب: (ما جاء في الحث على تبليغ السماع).

العِلْمُ أَحْلَى وَأَغْلَى مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ
أُذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبه
لله أكرم مَنْ يمشي على قدمِ
فقدِّسِ العلمَ واعرفْ قدرَ حُرْمَتِه
في القولِ والفعلِ والآدابِ فالتزمِ
يا طالبَ العلمِ لا تبغِ به بَدَلا
فَقَدْ ظَفَرْتَ وربِّ اللوحِ والقلمِ
واجهد بعزمٍ قوي لا انثناءَ له
لو يعلمُ المرءُ قدرَ العلمِ لم ينمِ
والنيةُ تُجْعَلُ لوجهِ اللهِ خالِصَةً
إنَّ البناءَ بدونِ الأصلِ لم يُقَمِ

## ثانيًا: واجبات طالب العلم

الواجب الأول: الحرص على طلب العلم.

يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

ويقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

ويقول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». (١)

فالآيات السابقة تكفي حتى تشعل في نفسكِ فتيل الانطلاق إلى طلب العلم والحرص عليه؟ أظنكِ تحتاجين بعض المحفِّزات الأخرى؛ اقرئي معي:

**الواجب الثاني: الصبر وتحمل المشاق في طلب العلم.**

يقول ابن عباس: «إن كنت لآتي الرجلَ في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ، فأجده قائلا (أي نائم وقت الظهيرة) فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح على وجهي (أي تضرب وجهي بالتراب والرمل) حتى يخرج، فإذا

(١) رواه البخاري، كتاب (العلم)، باب: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

خرج قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ: ما لك؟

فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، فأحببت أن أسمعه منك.

قال: فيقول: فهلا بعثت إليَّ حتى آتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك.(١)

ويقول الشاعر:

العلمُ يرفع بيتًا لا عِمَادَ له  والجهلُ يهدمَ بيتَ العزِّ والشرفِ

**قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟**

قال: أسمع الحرف مِمَّا لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعًا تنعم به مثلما تنعمت به أذناي.

**قيل له: فكيف حرصك عليه؟**

قال: حرصُ الجَمُوعِ المَنُوعِ في بلوغ لذته للمال.(٢)

**قيل له: فكيف طلبك له؟**

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.(٣)

(١) (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر ج١، ص١٠٢.
(٢) أي حرص البخيل المحب لمال يجمعه في أن يستزيد من هذه الشهوة.
(٣) (أخلاق الدعاة) طلعت عفيفي، ص١٠٤. والمرأة المضلة ولدها: أي التي فقدت ولدها.

وقد جربتُ هذا الحب للعلم والقراءة أنا شخصيًا في حياتي العملية، ومن طرائف حواراتي مع بعض الأصدقاء أن سألني أحدهم يومًا عن مدى حبي للقراءة والاطلاع، فقلت له: أتدري ما هي أمنيتي عندما أنزل قبري؟

قال: أن يخفف الله عنك المكث فيه.

قلت له: أسأل الله ذلك من رحمته وفضله، ولكن لي أمنية أخرى مع ذلك.

قال: ما هي؟

قلت: أن يرزقني الله تعالى مكتبة ضخمة تحوي نوادر العلوم، أظل فترة مكوثي في البرزخ أقرأ فيها وأطالع.

ومع ضحكات صاحبي المتعجبة قلت له وكأني أبتهل إلى الله:

وأتمنى أن تكون معظم هذه الكتب كتبًا في الحديث النبوي وعلومه، وعلى رأسها (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) للإمام ابن حجر العسقلاني.

فهل يا ترى يستجيب الله دعائي!!

هل نكتفي أم تريدين أن تستزيدي؟ هيا بنا إذا إلى..

**الواجب الثالث: طلب أنفع العلوم.**

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ؛ طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا». [1]

ويقول ابن عباس:

ما أكثرَ العلم وما أوسَعَه ... مَنْ ذا الذي يَقْدِرُ أن يَجْمَعَه؟
إنْ كنتَ لا بُدَّ له طالبًا ... محاولا فالْتَمِسْ أَنْفَعَه[2]

**الواجب الرابع: الحرص على طلب العلم على يد العلماء.**

يقول الشاعر:

وَمَنْ أخذَ العلومَ بغير شيخ ... يضلُّ عن الصراطِ المستقيم
وكم مِنْ عاتبٍ قولا صحيحًا ... وافتِهِ من الفهم السقيم

وقيل للإمام أبي حنيفة: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه.

فقال: ألهم رأس؟ (أي لهم شيخ يرجعون إليه).

**فقيل له: لا.**

قال: لا يفقه هؤلاء أبدًا. [3]

(١) رواه الدارمي، كتاب (المقدمة)، باب: (من هاب الفتيا مخافة السقط).
(٢) (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، ج١، ص١٢٧.
(٣) (بهجة الناظرين) لعبد الله آل جار الله، ص٢١٩.

ولا بُدَّ أن يكون الشيخ قد تلقى عَمَّنْ سَبَقَه، فكما قال القائل: (لا تأخذِ العلمَ مِنْ صحفي، ولا القرآنَ من مُصْحَفِيّ).

فمن لم يصبر على ذُلِّ التعلم، بقي طول عمره في عماية الجهالة، ومَنْ صَبَرَ عَزَّ في الدنيا والآخرة.

الواجب الخامس: الحرص على العمل بالعلم.

يقول سفيان بن عيينة: «إنْ أنا عملت بما أعلم فأنا أعلم الناس، وإن لم أعمل بما أعلم فليس في الدنيا أحد أجهل مني».[1]

ويقول الفضيل بن عياض: «لا يزال العالم جاهلا بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالِمًا».[2]

وقالوا: العلم والعمل على ثلاث مراتب:

١ - رواية؛ وهي مجرد نقل وحمل العلم.

٢ - دراية؛ وهي فهمه، وتَعَقُّل معناه.

٣ - رعاية؛ وهي العمل بموجب ما علمه.[3]

يقول سيدنا عيسى - عليه السلام -: «من عمل بما يعلم وَرَّثَهُ اللهُ علمَ ما لم يعلم».[4]

(١) (الجامع لأخلاق الراوي)، الخطيب البغدادي، ج١ ص٩٠.

(٢) (اقتضاء العلم بالعمل)، الخطيب البغدادي، ص٣٧.

(٣) بهجة الناظرين، عبد الله آل جار الله، ص٢١٩.

(٤) (حلية الأولياء) ج١ ص١٥.

ثم إن لكل شيء ثمرة، وثمرة العلم العمل والتبليغ، وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر.

هَتَفَ العِلْمُ بِالعَمَلِ إنْ أَجَابَهُ وإلاَّ ارْتَحَل

«مَنْ كَتَمَ علمًا ألجمه اللهُ بلجامٍ مِنْ نارٍ يوم القيامة».

ما أحوج الأمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بصيرة، وعلى علم مستوعب للشرع، والواقع، والبيئة، وأحوال الناس.

إن تبليغ هذا الدين يروِّض النفوس، ويكسبها الصبر، ويكسبها الحِلْمَ والطمأنينة والسكينة؛ ولا بُدَّ مِنْ مخالطة المدعوين، ولا بُدَّ مِنَ الصبرِ على أذاهم، والحنوِّ عليهم؛ لانتشالهم مما هم فيه، ومن يبني غيره هو أحق بأن يكون ثابتَ البناء، لا يُزَحْزَح بسهولة.

**الواجب السادس: الحذر من آفة الرياء بالعلم.**

يقول أبو حامد الغزالي:

«العلم ثلاثة أشبار، مَنْ تعلَّمَ الشبرَ الأولَ تكبَّر، ومَنْ تعلم الشبر الثاني تواضع، ومن تعلم الشبر الثالث علم أنه لا يعلم شيئًا»

## مظاهر الرياء:

١ - الرغبة في الصدارة والمنصب.

٢ - إشباع غريزة حب المَحْمَدَة، أو الثناء من الناس.

٣ - الخوف من قلة الأقران حولك.

## آثار الرياء بالعلم

١ - الحرمان من الهداية والتوفيق ﴿ يَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]

٢ - الضيق أو الاضطراب النفسي.

٣ - نزع الهيبة من قلوب الناس ﴿وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

٤ - الإعراض من الناس، وعدم التأثير.

٥ - عدم إتقان العمل ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]

٦ - الفضيحة في الدنيا، وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

ويقول الرسول ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».[(١)]

(١) آفات على الطريق، للأستاذ: السيد نوح، ج٢ ص٥، بتصرف.

## الواجب السابع: الوقوف على أخبار طلبة العلم والعلماء.

مثل الإمام المنذري، يقول أحد تلاميذه: «جاورته اثنتي عشرة سنة - بيتي فوق بيته - ما قمت في ساعة من ليل إلا وسراجه مضاء يكتب أو يصلي».

وهذا خبر من أعجب الأخبار وأغربها، وقع لعالم أندلسي ممن رحلوا من الأندلس إلى المشرق على قدميه، ليلقى إمامًا من أئمته يأخذ عنه العلم، ولكنه حين وصل إليه وجده محبوسًا ممنوعًا من الناس، فتلطف وتحيل حتى لقيه، فأخذ العلم عنه بصورة لا تخطر على البال، ولا تدور بالخيال.

جاء في (السير)[1] للذهبي أن (بقية بن مخلد الأندلسي) كان بغيته ملاقاة الإمام أحمد بن حنبل والأخذ عنه، فخرج من الأندلس على قدميه ماشيًا، يقول: فلما قربت من بغداد وصلني خبر المحنة التي دارت على الإمام أحمد، وعلمت أنه ممنوع الاجتماع إليه والسماع عنه. قال: فاغتممت لذلك غمًّا شديدًا، فأنزلت متاعي في بيت اشتريته، ثم أتيت الجامع الكبير، وحضرت بعض الحِلَق، قال: ثم خرجت أستدل على منزل الإمام أحمد، قال: فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إليَّ وفتح الباب، فنظر إلى رجل لم يعرفه، فقلت: يا أبا عبد الله، رجل غريب الدار، وهذا أول دخولي البلد، وأنا طالب

(١) (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي.

حديث وجامع سنة، ولم تكن - والله الذي لا إله إلا هو - رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل الممر، ولا تقع عليك عين، فدخلت الممر، وجاء لي، فقال: من أين؟ قلت: من المغرب الأقصى؛ من الأندلس، فقال: إن موضعك لبعيد، وما كان من شيء أحب إليَّ مِنْ عَونِ مثلك على مطلبه، غير أني في حيني هذا ممتحن بما لعله قد بلغك، فقلت له: بلى قد بلغني، وأنا قريب من بلدك بعد أن قطعت ما قطعت مقبلا نحوك.

لكن يا أبا عبد الله هذا أول دخولي البلد، وأنا مجهول عندكم؛ فإذا أذنت لي أن آتيك في زي سائل، فأقول ما يقول السائلون المتسولون: «الأجر رحمكم الله». فتخرج إلى هذا الممر، فلو لم تحدثني في كل يوم إلا بحديث لكان لي فيه أجر عظيم.

فقال الإمام أحمد: نعم، على شرط أن لا تظهر في الحلق عند أصحاب الحديث. فكنت آخذ عودًا بيدي، وألف رأسي بخِرْقَة، وأجعل ورقتي ودواتي في كمي، ثم آتي بابه، فأصيح: «الأجر رحمكم الله». قال: فيخرج إليَّ في الممر، ويغلق باب الدار، ثم يحدثني بالحديثين والثلاثة حتى اجتمع لي نحو ثلاثمائة حديث.

قال: والتزمت تلك الطريقة حتى زالت المحنة عن الإمام أحمد يوم مات المبتدع، وتولى مَنْ كان على السنة، قال: فظهر الإمام، وسما ذِكْرُه، وعَظُمَ في عيون الناس، وكانت تضرب إليه آباط الإبل.

**واجبات طالب العلم**

- الحرص على طلب العلم
- الصبر وتحمل المشقة في طلبه
- طلب أنفع العلوم
- طلبه على يد العلماء
- الحرص على العمل بالعلم
- الحذر من آفة الرياء بالعلم
- معرفة أخبار طلبة العلم والعلماء

وكنت أحضر له، فيعرف لي حق صبري، ويعرف لي حق تجلدي في طلب العلم، فإذا رآني هَشَّ وبَشَّ، وقال: تعالَ إليَّ، وأفسح لي في مجلسه، وأدناني في نفسه، ثم يقول لطلبة الحديث: هذا هو الذي يستحق أن يطلق عليه اسم طالب العلم، ثم يقص عليهم قصتي.

قال: ثم مرضت يومًا من الأيام، قال: فزارني الإمام أحمد، فما بقي أحد بعد ذلك إلا زارني، وأجلني الناس لزيارته وخدموني؛ فواحد يأتيني بفراش، وآخر يأتيني بلحاف، وآخر يأتيني بأطايب الأغذية، وكانوا في تمريضي - والله - أكثر من تمريض أهلي لو كنت بين أظهرهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إنَّ التشبهَ بالكرامِ فلاحٌ
وتعلموا فالعلم معراج العلا ... ومفاتح الإخصاب والإمراح

## الفصل الثاني

# ركائز فقه الاختلاف

الاختلاف ليس شر كله، ولكننا نحن الذين نحوّله إلى الشر بالجدال والمراء، وأمراض القلوب. والعلاج في معرفة أسبابه، والركائز التي نتعامل بها عند الاختلاف.

### من أسباب الاختلاف

١ - اختلاف العقول في قوة الاستنباط.

٢ - سعة العلم وضيقه.

٣ - اختلاف البيئات.

٤ - اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرأي الوارد أو النص.

يقول الشافعي:

«رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

ويقول أبو حنيفة: «فقهنا هذا رأي، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه».

وقد جمع الشيخ يوسف القرضاوي حوالي عشرين ركيزة لفقه الاختلاف[1]، نختار بعضها لنعرضه عليكِ هنا؛ ليكون دليلا في التعامل الثقافي مع الآخرين.

١ ـ **الاختلاف ضرورة ورحمة**، وتوسعة للأمة؛ حيث أن الله خلق الناس مختلفين ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩] أي للاختلاف خلقهم، فلا بُدَّ أن نتقبله كواقع.

وهو رحمة؛ حيث أن ما يصلح لفرد لا يصلح لآخر، وما ينفع جماعة لا ينفع أخرى، والإسلام جاء للناس كافة.

وهذا جعل العلماء يجتهدون وتتعدد الآراء؛ لتتكون ثروة علمية للأمة تستفيد منها على امتداد الزمان والمكان.

٢ ـ **احتمال الصواب في رأي المخالف**، وإمكان تعدد الصواب؛ حيث إن مَنْ يدَّعى أن رأيه صواب يكون اعتماده على

(١) في كتاب (كيف نتعامل مع التراث؟) للشيخ يوسف القرضاوي، ص١٣٨ وما بعدها.

فهمه للنص، فقد يفهمه آخر فهمًا مختلفًا، وحادثة (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) دليل على ذلك.

وقد تَمَيَّزَ سليمان على داود بفهم وهبه الله له ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

### ٣ - لا إنكار في المسائل الخلافية.

وأصل هذه الركيزة أنه لا يجوز على مجتهد أن يُنْكِرَ على مجتهد مثله ما خالفه فيه من العلم.

والأولى بالعامة من الناس وطلاب العلم ألا ينكر أحدهم على الآخر أخذه برأي عالم يثق فيه؛ لأن الأمر سينقلب هنا إلى مباراة في الجهل.

### [redacted] - الالتزام بآداب الخلاف؛ ومنها:

أ - إنصاف المخالف، وذكر ما أحسن فيه.

ب - العدل عند المخالفة، ونقده بالحق.

ج - التعاون في المتفق عليه.

د - التسامح في المختلف فيه.

هـ - التحاور للوصول إلى الحق.

و - التسامح بين المختلفين، وتغليب الحب والأخوة.

ز - تجنب المراء مع الأقران، وإحسان الظن بـالآخرين، والتـزام الأدب مع العلماء.

ح - اجتناب الاتهام بالإثم والفسق، والبعد عن القذف بالتكفير.

**٥ ـ ترك التنطع في الدين والتشدد والتكلف وتجنب المتشابهات.** (١)

يقول تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: «هَلَـكَ الْمُتَنَطِّعُـونَ» قَالَهَا ثَلاثًا. (٢)

ويفسـرها الإمـام النـووي: «هـم المتعمقـون، الغـالون، المجاوزون الحدود في أقـوالهم وأفعالهم».

وقيل: هم المتعنتون في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها.

---

(١) (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم)للدكتور يوسف القرضاوي.

(٢) رواه مسلم، كتاب (العلم)، باب: (هلك المتنطعون).

ومنه الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في كتاب ولا سنة، ومنه البحث عن أمور ورد الشرع الإيمان بها، مع ترك بيان كيفيتها.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقال ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».(١)

قال ﷺ: «أعظم المسلمين جرمًا رجل سأل عن شيء لم يُحَرَّم فَحُرِّمَ من أجل مسألته».

وقال ﷺ: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك مَنْ كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم».

وشعارك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

أما الذين يتوجهون دائمًا إلى المتشابهات ليخوضوا فيها، ألا يكفيهم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

(١) رواه النسائي، كتاب (مناسك الحج)، باب: (التقاط الحصى).

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

ونشير هنا إلى دعامتين قلبيتين أخلاقيتين في أدب الاختلاف:

**١ - الإخلاص والتجرد من الأهواء:** فكثيرًا ما يكون الخلاف ظاهره أنه علمي، وباطنه فيه حب للذات، والانتصار للنفس والهوى ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ،

وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ». (١)

ويقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]

**٢ - التحرر من التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف**، فإن كانت النقطة السابقة تعصبًا للنفس والهوى، فهذه تعصب لشخص نحبه، أو مذهب نتبعه، أو جماعة ننتمي إليها، وما يقال هناك يقال هنا، والعلاج واحد؛ الإخلاص.

(١) رواه ابن ماجة، كتاب (الفتن)، باب: (من ترجى له السلامة من الفتن).

**٣ ـ كون الزوجة مثقفة ......**

أ - ضرورة أساسية لحياة زوجية سعيدة، وإيجاد أجيال مثقفة.

ب - ليس ضروريًّا؛ لأن مهمات المرأة لا علاقة لها بالثقافة.

ج - الزوجة المثقفة سبب لكثرة الخلافات والمناقشات.

د - الزوجة المثقفة تقرِّب وجهات النظر بينها وبين زوجها، وتساعده على تكوين وجهة نظر سليمة، وحل مشاكلهما بيسر.

**٤ ـ الحوار الثقافي بين الزوج والزوجة ......**

أ - لا وجود له؛ لأن لكل منهما اهتماماته الخاصة.

ب - قلما يكون بينهما حوار ثقافي؛ لأنه لا وقت لديهما لمثل ذلك.

ج - كثيرًا ما يتحاورا ويتناقشا في القضايا العائلية والاجتماعية والدينية وغيرها.

د - تشغل الأخبار والمسلسلات التليفزيونية قسمًا كبيرًا من حواراتهما.

■ ـ **المكتبة المنزلية .......**

أ - تهمني كثيرًا، وأحب أن تكون غنية ومتنوعة؛ ليستفيد منها كل أفراد الأسرة.

ب - يوفر زوجي لي ولأولادي كل ما نطلبه من مجلات وكتب مفيدة.

ج - المكتبة في عصر التليفزيون والفضائيات أصبحت ديكورًا في البيت لا أكثر.

د - لا أحب اقتناء الكتب؛ لأن لدينا مصاريف كثيرة فيما هو أهم.

**٦ ـ دور الزوجة المثقفة .......**

أ - لا علاقة للثقافة بالانسجام الزوجي والحياة العائلية.

ب - لا يرضى زوجي أن أكون أقل منه ثقافة، ولذلك يشجعني على أن يكون لي هواية أو دراسة أو اطلاعات متنوعة.

ج - لا يجد زوجي غضاضة في أن أكون أكثر منه ثقافة؛ بل ويسألني فيما يجهله، ويستفيد مِنْ تخصصي وعلومي.

د - الزوجة غير المثقفة تمثل البراءة والبساطة، وهذا ضروري من أجل الصحة النفسية للعائلة.

| الإجابة النموذجية | |
|---|---|
| خطأ | صحيح |
| ١ - أ، د | ١ - ب، جـ |
| ٣ - ب، جـ | ٣ - أ، د |
| ٤ - أ، ب | ٤ - جـ، د |
| ٥ - ج، د | ٥ - أ، ب |
| ٦ - أ، د | ٦ - ب، جـ |

أعطي خمس درجات لكل إجابة موافقة للجدول السابق

١- من (١١٠ - ١٢٠) **ممتاز** } **مثقفة الفكر**

٢- من (١٠٠ - ١١٠) **جيد جدًا** } **مثقفة الفكر**

٣- من (٩٠ - ١٠٠) **جيد** } **مثقفة الفكر**

٤- من (٨٠ - ٩٠) **متوسط محتاجين إلى قراءة هذا الكتاب**

٥- من (٧٠ - ٨٠) **أقل من متوسط.**

إذا كانت الدرجة دون الـ (٧٠) فإن ذلك يعني ضعف مفاهيمك الثقافية، وعليكِ استكمال هذا النقص بالاطلاع وطلب المعرفة، واستشارة المختصين، ولا سيما حول نقاط الاختبار التي ترين أن الصواب فيها ما ترينه، وهي خاطئة في الواقع.

وهذه مجموعة من النصائح تعتبر مدخلا للتطبيق العملي لثقافة فكرك.

١ - يجب أن تكون الأخت المسلمة عنوانًا في دراستها وفي بيتها وفي عملها.

٢ - البيت المسلم يجب أن يتميز بالنظافة والترتيب والنظام والهدوء، والبعد عن العادات والتقاليد التي تتنافى مع الإسلام، ولا مانع من أن يكون منتجًا لبعض الأشياء اللازمة، مع ضرورة أن يهيمن الإسلام على حياة البيت، من صغيرها إلى كبيرها؛ كمواعيد الصلاة والنوم والاستيقاظ، ومعاملة الخدم، والجيران، إلى غير ذلك.

٣ - الأسرة المسلمة أمل وأساس في بناء المجتمع المسلم، والرجل والمرأة مسؤولان أمام الله في إقامتها على خير حال، وعلى أحسن وجه.

٤ - ليس الإسلام مظهرًا وفقط؛ إنما هو خلق وسلوك وانضباط، ولا بُدَّ أن يتطابق المظهر والمخْبَر، وعلى الأخت المسلمة أن تكون على مستوى المسؤولية والقدوة في تحقيق المعاني الإسلامية.

٥ - يجب أن تستمسك الأخت المسلمة بالشعائر والآداب الإسلامية في جميع الأمور، وأن ترفض التقاليد والتقاليع الغربية، ولا تسمح للغزو الثقافي والاجتماعي أن يمتد إلى بيتها وحياتها، وأن تلتزم بهدي الرسول ﷺ في أعمال اليوم والليلة.

٦ - تربية الأولاد والاهتمام بشؤونهم، وتنظيم رغباتهم، من الأمور التي يجب أن تلقى من الأخت المسلمة العناية الكبيرة، وأن تنشِّئهم على الأخلاق الفاضلة، وعلى الاهتمام بالمسائل الكبيرة في الحياة، وعلى الاستفادة من الوقت وتنظيمه، وأن تبث فيهم شعائر الإسلام، واحترام الغير، والشعور بالمسؤولية، وممارسة الهوايات النافعة. وضروري جدًّا أن يتميز أبناؤنا عن غيرهم، مع العناية بعقولهم وأجسامهم.

٧ - لا مانع من الاستفادة بالوسائل الحديثة في التربية، واختيار المادة المناسبة، واستعمال (الفيديو، والتليفزيون والكمبيوتر) وغير ذلك في المناسبات الجماعية.

٨ - حسن الصلة بالله، ومداومة الذكر والاستغفار من الأمور التي تشرح الصدر، وتعين على أعباء الحياة، وليست العبادة قاصرا على الشعائر فقط، فجميع الأمور في حياتنا عبادة نأخذ عليها الأجر حين تكون النوايا صادقة.

٩ - يعين الأخت المسلمة في هذه الأمور دراسة كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) للدكتور عبد الله ناصح علوان (رحمه الله) وهو يقع في مجلدين، وهو مرجع مهم لا غنى للأخت المسلمة عنه أبدًا. [1]

(١) ينفع جدًا دراسة سلسلة (أولادنا)؛ «بلوغ بلا خجل»، «ومراهقة بلا أزمة» للمؤلف عند وصول الأبناء (بنين وبنات) لسن المراهقة.

# الخاتمة

**وبعد؛**

أختي المسلمة: أحسب أنَّا قد تعرَّفنا سويًّا على معالم صـفة (مثقفة الفكر)، وقد يكون المطلوب منك أمـرًا ضـخمًا ثقـيلا، ولا أقصد تهويل الأمر ولا التهوين من شـأنك، ولكـن الـذي يعينك على التحقق بهذه الصفة عدة أمور:

١ - همة عالية تدفعك إلى الأمام.

٢ - التنظيم وترتيـب الأولويـات، فالواجبـات أكثـر مـن الأوقات، وإذا تركت الأعمـال تُنَفَّـذ ارتجـالا بـدون تخطيط ولا تنظيم ولا ترتيب للأولويـات، فسـيكون الناتج قليلا.

٣ - الصـحبة ذات الهمـة العاليـة، الـتي تعينـك إذا مـا تكاسلتِ أو تراخيتِ.

وأظن أنَّكِ بالتعرُّف علـى ضـيفة الشـرف في الصـفحات التالية دافع لك نحو علوِّ الهمَّة.

# ضيفة الشرف

في الحلقات الثلاثة السابقة من هذه السلسلة كان في ضيافتنا أعلام الصحابيات، مِمَّن تربينا على يد رسول الله ﷺ، وفي هذه الحلقة نستضيف واحدة مختلفة، عاشت في عصرنا، وللأسف يحاول بعض دعاة تحرير المرأة أن يضموها إلى صفوفهم، بل ويجعلونها رائدتهم، وكم فقدنا من صفوفنا قادة كبارًا لم نحافظ عليهم في غفلتنا، فيا ترى من أي الفريقين هي؟ دعونا نتعرف عليها لنحكم في النهاية.

# عائشة التيمورية

عائشة (عصمت) بنت إسماعيل تيمور بن محمد كاشف، التيمورية القاهرية المصرية.

واسمها عائشة، وكان أبوها يناديها (عصمت).

قالت عنها زينب فواز: «لم تدع لِوَلاَّدة مقالا، ولم تترك للإخيلية مجالا».

وولادة هي بنت المستكفي، والإخيلية هي ليلى، وهن من نابغات شاعرات النساء.

ولدت في أواسط القرن الثالث عشر الهجري في القاهرة سنة ١٢٥٦هـ، الموافق ١٨٣٥م تقريبًا.

أبوها إسماعيل باشا تيمور، من أصل تركي، وأمها (معتوقة) من أصل جركسي.

لم تكن النساء في عصرها يدخلن المدارس، وإنما يتعلمن المهارات

النسوية عن أمهاتهن، أو يتعلم بعضهن القرآن الكريم في الكتاتيب.

لم تكن عائشة تهتم كثيرًا بما كانت أمها تعلمها من الأعمال النسوية، واتجهت رغبتها إلى تعلم القراءة والكتابة، وبدأ النفور والصراع بينها وبين والدتها لهذا السبب.

وكان والدها إسماعيل باشا تيمور يميل إلى رغبة ابنته؛ لِمَا وجده فيها من الذكاء والنجابة، فأحضر لها اثنين من الأساتذة ليعلماها في البيت.

**الأول**: يدعى إبراهيم أفندي مؤنس؛ كان يعلمها القرآن الكريم وعلومه، والفقه، والخط العربي.

**والثاني**: هو خليل أفندي رجائي؛ وكان يعلمها النحو والصرف، بالإضافة إلى اللغة الفارسية التي برعت فيها، وصارت تكتب الشعر والنثر بها.

وسجلت عائشة هذه المرحلة نثرًا، فقالت تبين موقف والدتها ووالدها منها:

«وتعنفني (يعني والدتها) بالتكدير والتهديد، فلم أزدد إلا نفورًا، وعن صنعة التطريز قصورًا، فبادر والدي وقال لها: دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم..»

كانت لها أختان؛ الأولى عفت، وماتت في حياة عائشة، ورثتها بقصيدة مؤثرة.

والثانية منيرة، وتزوجت من رجل اسمه علي باشا آصف، وماتت بعد وفاة عائشة، ولم يؤثر عن الأختين ميلاً إلى الأدب والشعر، وكان أبوها يقول لأمها:

«تعالي نتقاسم بنتينا، فخذي عفت، وأعطني عصمت؛ يعني عائشة».

عكفت على قراءة دواوين الشعر والأدب حتى تكونت عندها ملكة أدبية عالية وهي لم تبلغ عامها الثالث عشر، وتقول:

«غير أن أبي لم يكن يأذن لي بالخروج إلى مجالس الرجال، وتولى بنفسه تعليمي، واختصني بساعتين من وقته كل ليلة؛ أقرأ فيهما عليه».

وتَعَلَّمتِ التركيةَ بنفسها حتى أجادتها في وقت قليل، وبدأت تكتب الشعرَ باللغات الثلاث؛ العربية والفارسية والتركية، وقد كانت لغات العلم والحضارة في ذلك الزمن.

## ۞ زواجها

زوَّجها أبوها من رجل يدعى (محمود بك الإسلامبولي) سنة

١٢٧١هـ وعمرها ١٥ سنة، وانتقلت معه إلى الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية الإسلامية.

## ابنتها توحيدة

رُزِقَتْ بالبنين والبنات، ولكن كانت ابنتها الكبرى توحيدة هي أشهر هؤلاء؛ حيث أن لها قصة طويلة معها.

والعجيب رغم بغضها لأعمال الإبرة والحياكة تقول عن توحيدة: «تقضي يومها من الصباح إلى الظهر بين المحابر والأقلام، وتشتغل بقية يومها إلى المساء بإبرتها فتنسج بها بدائع الصنائع، فأدعو لها بالتوفيق، شاعرة بجزني على ما فات مني يوم كنت في سنها من النفور من مثل هذا العمل».

وعندما بلغتْ توحيدة الثانية عشرة من عمرها كانت مديرة للمنزل، مما أعطى الفرصة لعائشة أن تعود إلى أدبها وشعرها.

## وتوالت الصدمات

توفي والدها عام ١٢٨٩هـ، وعمرها ثلاثة وثلاثين عامًا.

وتوفي زوجها بعد ثلاث سنوات؛ عام ١٢٩٢هـ.

وعادت إلى مصر وعكفت على الأدب يطفئ وقت فراغها وحزنها، وأخذت تنشر مقالاتها الهادفة في الصحف والدوريات.

## ❁ عودة إلى العلم

وبدأت تتطلع إلى الارتقاء بعلمها بعد هذا الانقطاع الطويل، فأحضرت معلمتين من النساء وتتلمذت عليهما:

الأولى: فاطمة الأزهرية، التي تخرَّجت من الأزهر، وكانت تعلمها علوم العربية.

والثانية: ستيتة الطبلاوية، الأديبة الفاضلة، التي برعت في النحو والصرف والعَرُوض.

وصارت عائشة تتقن كلَّ فنونِ النَّظْمِ، وجمعت ثلاثة دواوين شعرية بثلاث لغات: العربية والفارسية والتركية، ولكنها لم تطبعها.

## ❁ مأساة توحيدة

وبدأت شهرتها تملأ الآفاق، حتى حدثت أكبر مأساة في حياتها؛ لقد مرضت توحيدة بمرض خفي لم يستطع الأطباء تحديده، وماتت منه وهي في سن الثامنة عشرة، في رمضان ١٢٩٤هـ في شهر زفافها.

وبموت توحيدة أَسْلَمَتْ عائشة نفسها للحزن؛ فقد كانت توحيدة حبيبة قلبها، ومديرة بيتها التي لم تجعلها تحتاج إلى أحد؛ بل وكانت مُلْهِمَة الكثير من أشعارها.

## ۞ عودة الخنساء

تركت عائشة الشعر وأعرضت عنه، وزحفت العِلَلُ إلى بدنها، وكاد الحزن يذهب بضياء عينيها؛ بل كادت أن تَبْيَضَّ عيناها من الحزن – ذلك مدة سبع سنوات – فتجمع عليها الناصحون والأحباب حتى أقلعت عن البكاء والحزن.

صبَّتْ كلَّ حزنها في شعر الرثاء الذي ذكَّرنا بأميرة الرثاء في الشعر العربي؛ الصحابية الجليلة الخنساء، التي ملأتِ الآفاقَ برثاء أخيها صخر.

وأبدع ما كتبت عائشة في ذلك قولها:

طافت بشهر الصوم كاساتُ الرَّدَى ... سِحْرًا وأكوابُ الدموعِ تدورُ
فتناولتْ منها بنتي فتغيرتْ ... جناتُ خَدٍّ شانها التغييرُ
فذوتْ أزاهيرُ الحياةِ بروضها ... والقَدُّ منها مائِسٌ ونضيرُ
وَمَضَى الذي أهْوَى وجرَّعَنِي ... وَغَدَتْ بقلبي جذوةٌ وسعيرُ

وفي هذه القصيدة سلكت عائشة الشكل القصصي والحوار؛ فتصف في بدايتها حوارها مع الطبيب وتقول:

جاء الطبيب ضحى وبشَّرَ بالشفا ... إن الطبيب بِطِبِّه مغرور

وتبين يأس ابنتها من الشفاء، فتقول على لسانها:

أمــاه قــد عــزَّ اللقــاءُ وفي غــدٍ ... ســترين نعشــي كــالعروسِ يطــيرُ
وسينتهي المسعى إلى اللحدِ الـذي ... هــو منزلــي ولــه الجمــوعُ تصــيرُ
أمـــاه قـــد سَـــلَفَتْ لنـــا منيـــة ... يـــا حســـنها لـــو سَـــاقَهَا التيســـير

ثم تنقل رجاء توحيدة لها بزيارة قبرها، وقراءة القرآن عنده في أروع بيان فتقول:

أمـــاه لا تنســـي بحـــقٌ بنـــوتي ... قـــبري لـــئلا يحـــزنَ المقبـــورُ
ورجـــاء عفـــو أو تـــلاوة مُنْـــزَل ... فســواك مَــنْ لــي بــالحنين يــزور؟
فلعلمـــا أحظـــى برحمـــةِ خـــالقٍ ... هـــو راحـــمٌ بَـــرٌّ بنـــا وغفـــور
فأجبْتُهــا والــدمعُ يحبس مَنْطِقــي ... والــدهرُ مِــنْ بَعْــدِ الجِــوَارِ يَجُــورُ
بنتــاه يــا كبــدي ولوعــة مهجــتي ... قــد زال صــفوٌ شــأنه التكــديرُ
والله لا أســـلو الـــتلاوةَ والـــدعا ... ما غــردتْ فــوقَ الغصــونِ طيــورُ

ثم تختتم قصيدتها باستسلامها لقضاء الله، ويقينها بمقام ابنتها في الجنة، فتقول:

أبكيـــك حتـــى نلتقـــي في جنـــةٍ ... بريـــاضِ خُلْـــدِ زيَّنَـــتْهَا الحـــورُ

مُتِّعْتِ بالرضوان في خلد الرضا ... ما زُيِّنَتْ لك غرفة وقصورُ
وسمعتِ قولَ الحقِّ للقوم: ادخلوا ... دارَ السلامِ فسعيكم مشكورُ

واشتهرت عائشة كأميرة رثاء في العصر الحديث؛ فقد رثت والدها ووالدتها وأختها، وسجلت مَرَاثٍ أخرى لبعض العلماء والأدباء؛ منهم الشيخ إبراهيم السقا.

## ۞ عائشة رائدة العفاف

كانت عائشة من رائدات تربية النساء في العصر الحديث، وكانت دعوتها قائمة على دعامتي العفاف، والحجاب.

تقول:

بيد العفاف أصونُ عِزَّ حجابي ... وبعصمتي أسمو على أترابي
وبفكرةٍ وقَّادةٍ وقريحةٍ ... نقَّادة قد كَمُلَتْ آدابي
فجعلتُ مرآتي جبينَ دفاتري ... وجعلتُ من نقشِ المِدَادِ خِطَابي

وتقول كأنها تَرُدُّ على هؤلاء الذين يقولون: إن الحجاب وسَتْرَ المرأة يعوق مسيرة حريتها:

ما ساءني خِدْري وعَقْدُ عصابتي ... وطرازُ ثوبي واعتزازُ رحابي
ما عاقني حِجْلِي عن العليا ولا ... سَدْلُ الخِمَار بِلَمَّتِي ونقابي

ونجد هذا المعنى يتردد في الكثير من شعرها؛ حيث تلمِّح دائمًا على أن المرأة لا بُدَّ أن تنطلق وتحلق في سماء المشاركة الفعالة في بناء مجتمعها، ولكن لا يجعلها ذلك تتخلى عن سترها وعفافها؛ فإن الحجاب لم يكن أبدًا معوِّقًا للمرأة عن الانطلاق.

وتقول وكأنها تعلن الغاية من ذلك كله:

ما الحظُّ إلا امتلاكُ المرءِ عفته ... وما السعادةُ إلا حسنُ أخلاقِ

## ❁ مكارم الأخلاق

وتجلت في شعرها الدعوة إلى مكارم الأخلاق؛ مثل: صون اللسان، وسخاء النفس، وكرم الكف، والقناعة.

ولها مع ذلك - إلى جانب الشعر الرصين الذي يوضع في دواوين الحكمة - شعر تبدو فيه بعض الفكاهة، والسخرية من البخيل؛ تقول:

حَيَّا الحريصُ صديقَه بتحيةٍ ... فأجَابَهُ بيديه دونَ لِسَانِه

حذرًا على أن يَصْرِفَ الأنفاسَ ... رَدَّ السلامِ وَصَانُها بُنْيَانُه

فأجبتُه دَعْهَا ليومِ حسابِه ... سيزيدها نفخًا على نيرانِه

## ۞ المرجعية الإسلامية في شعر عائشة التيمورية

كانت عائشة التيمورية تجمع مع الالتزام الديني علمًا بشريعة الإسلام ومصادرها (القرآن والسنة)، يقول عنها أخوها العالم الأديب أحمد تيمور، الذي توفى أبوه وعمره ثلاثة شهور، فقرَّبته عائشة، وأحسنت تربيته، وملأ الدنيا تأليفًا وأدبًا:

«إن عائشة كانت تقية، تصلي وتصوم وتقوم بكل الفرائض الدينية».

وقد تميزت الكثير من أشعارها بالاقتباس من القرآن والسنة، والانضباط مع منهجيهما كمرجعية عليا.

كما تميزت بالتوجه إلى الله في روحانية عالية، وإدراك القلب المؤمن لعظمته وجلاله.

تقول:

أتيت لبابك العالي بذُلِّي ... فإنْ لم تعفُ عن ذنبي فمن لي؟
مُقِرًّا بالجناية وامتثالي ... لأمْرِ النفسِ في عقدي وحِلِّي
سَعَتْ نفسي بأن أمشي مكبًّا ... على وجهي لطاعتها فَوَيْلِي
فأنت لوحدتي ولكل عاصٍ ... له رحماك من بعدي وقبلي

وتقول في منظومة رائعة تناجي ربها، وتبدو فيها ثقافتهـا العاليـة بالإسلام:

يا كاشفَ الضرِّ عن أيوبَ مرحمة ... حين استغاثك من مَسِّ المُضِرَّاتِ
وصاحبَ الحوت قد أتيته كَرَمًا ... لَمَّا دعا بابتهالٍ في الضَّرَاعَاتِ
وابيضتِ العينَ من يعقوبَ ... حزنًا على يوسفَ في فيضِ
ومُذْ شكا البثَّ للرحمن عاد له ... نورُ العيونِ قرينًا بالحَسَرَاتِ
ويوسفُ السيدُ الصدِّيقُ حين دعا ... في ظلمةِ السجنِ مِنْ بَعْدِ الغيابات
ومذْ علمتَ بإخلاصِ الخليلِ غدا ... والنارُ مِنْ حوله في روضِ جنات
وقد رفعتُ يمينَ الذلِّ داعية ... إليك يا رب أرجو غفر زلاتي

**أما القرآن فها هو في حياتها؛ تقول:**

إذا ضاقتْ بيَ الدنيا ... وشابَ عزيمتي ضَعْفُ
وضجَّتْ وحدةُ روحي ... وَرَوَّع أمنَه الخوفُ
ألوذ بجنة القرآن ... فهو الفيءُ والإلْفُ
تفيض حروفُه نورًا ... ويشفي علتي حرفُ

## ۞ مع النبي ﷺ

وقد أفردتْ لمدح النبي ﷺ الكثير من شعرها؛ حيث نهجت نهج

البردة في قصيدة رائعة لها، ولكنها صاغت الصور صياغة جديدة تدل على استيعابها لمعاني البردة، مع النـزعة الإبداعية التي عندها.

تقول:

طه الذي قد كسا إشراقُ بعثته وجهَ الوجودِ سنا الرشدِ والكرمِ
طه الذي كَلَّلَتْ أنوارُ سفينته تيجانَ أمَّتِه فضلا على الأمَمِ

## عائشة المثقفة

من خلال هذه الرحلة الجميلة في عالم عائشة التيمورية استطاع الباحثون أن يعددوا مصادر ومنابع ثقافتها، والتي يمكن حصرها كالتالي:

**١ ـ الثقافة الإسلامية:**

القرآن الكريم، والحديث النبوي، والسيرة.

**٢ ـ الثقافة العربية:**

الإلمام بعلوم النحو والصرف والعَرُوض (محاور الشعر)، والبلاغة والبيان.

**٣ ـ تاريخ الأدب.**

وخاصة أثار وأعمال الشعراء والشاعرات العرب؛ حيث أنها تكاد تكون قد قرأت ديوان الشعر العربي كاملاً.

**٤ ـ الثقافة العامة**

التي بدت في معرفتها بعلوم الفلك، والنبات .... وغيرها.

## ۞ موقفها من الدعوة إلى السفور

كانت الدعوة إلى السفور - بمفهوم كشف وجه المرأة، وخروجها إلى الحياة العامة - قد نبتت في عصر عائشة، وإن كانت هذه الدعوة لا غُبَارَ عليها من حيث حكم الشرع؛ لأن وجه المرأة ليس بعورة، والنقاب ليس فرضًا، وإنما عزيمة وفضيلة أقرها النبي ﷺ، ولم ينهَ عنه، إلا أنها كانت مخالفة لتقاليد المجتمع في ذلك العصر.

ويبدو أن أمثال عائشة مِنَ الذين يحافظون على استقرار التقاليد والقيم العليا وجدوا أن تحت هذه الدعوة نارًا قد تصيب المجتمع بعد ذلك، ولذلك كان تأكيدها مُلِحًّا على العفاف والحجاب.

حيث تقول في النهاية:

ولكني اصطفيتُ عفَافَ نفسي ... تقِرُّ بصَفْوِهِ عَينُ الأَرِيبِ

وانطلقت - بجانب الدعوة إلى التمسك بالعفة والستر - تدعو المرأة إلى مكارم الأخلاق، والاستقامة والصلاح.

وفي عصر عائشة كانت دعوات السفور متفاوتة بين قاسم أمين والشاعر جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي.

كان الزهاوي يقول:

أسفري فالحجابُ يا بنتَ فِهْرِ ... هو داءٌ في الاجتماعِ وخيمُ
كلُّ شيءٍ إلى التجددِ ماضٍ ... فلماذا يَقِرُّ هذا القديمُ؟
أسفري فالسفورُ فيه صلاحٌ ... للفريقين ثم نفْعٌ عظيمُ

ويقول في صراحة:

لا يقي الفتاةَ حجابٌ ... بل يقيها تثقيفُها والعلومُ

فكانت أشعار عائشة تقف في الجانب الآخر من معركة الحجاب، وتنادي مُدَافِعَة عنه، تقول:

وما احتجابي عن عيبٍ أتيتُ ... وإنما أصونُ من شأني وغاياتي

وهنا أسجل عجبي من هؤلاء الذين يعتبرون عائشة التيمورية من رائدات حرية المرأة، وأنها نادتْ بما ينادون به اليوم؛ من ذلك الخروج الكامل للمرأة ليس من البيت فقط، وإنما من كل القيم والمبادئ، حتى من الملابس.

بل ومن أعجب ما قرأت رأيًا لإحدى الكاتبات تعلّل دعوة عائشة للحجاب والعفاف للمرأة المصرية بأنها كانت رِدَّة لعائشة عن مبادئها في تحرير المرأة، بسبب الإحساس بعقدة الذنب لموت ابنتها

توحيدة، وأنها شعرت أنها كانت سببًا في موتها؛ حيث لم تقم بدورها الكامل كأم، بسبب انشغالها بالدعوة إلى حرية المرأة!!

## ۞ الرقيقة اللطيفة

ورغم جدية عائشة، ووقوفها موقف العفاف والطهر في معركتها مع المنادين بالسفور، إلا أنها كانت تتمتع بلطف، وسرعة بديهة؛ ومن طرائفها:

أن نساء جئن لخِطْبَة توحيدة، وكانت لثغاء (تبدل الشين سينًا) فقالت لهن:

«أوحستمونا» بدلا من «أوحشتمونا». فأسرعت عائشة أمها تقول:

قال العواذلُ مُذْ قالتْ مؤانسة «أوحستنا» أنها تجفو وذاك غلَطُ
لم يُبَدِّلْ الشينُ سينًا لفظُها غلط بل لم يَسَعْ ثغْرُها الزاهي ثلاثَ نقطِ

فثغر توحيدة الجميل الصغير لم يَسَعْ مع السين ثلاثَ نقط.

وكانت تخاطب ابنها بالشعر الذي تنظمه؛ لتعوِّده على حُسْنِ البيان، وتذوق النَّظْم، فأرادت منه يومًا أن يُحْضِرَ كتاب (درة المختار) فقالت:

إلى عــــالي المكانـــة مَـــنْ سَـــمَا في المَجْــدِ والمِقْــدَار
لــــه هِمَّـــة إذا ظَهَـــرَتْ تُــوَارَتْ دونهـــا الأقمـــارُ
وأرجـــو مـــن معـــاليكم ســـريعًا «درة المختــــار»

وعندما دَبَّ الشيبُ في رأسها كانت متيقظة لأمر آخر غير ما يشغل النساء في هذا الموقف؛ فقد عرفت أنه نذير الرحيل، فقالت:

لا تنكــروا شــيبًا ألَــمَّ بلمَّــتي فهو النذيرُ لِحَزْمِ رَاحِلَةِ السَّفَر

وتقول في موضع آخر:

أراكَ بلمَّــتي يــا شــيبُ عِظْنِــي وقُلْ: حان الرحيلُ غـدًا لعلـي

وفي حزنها على توحيدة مرضت عيناها حتى كادت أن تنطفئ فقالت:

فـوا أسـفي علـى إنسـانِ عـيني غـدا في سـجنِ سَـقَمٍ واعْتِقَـالِ
حُجِبْتُ بسـجنه عـن كـلِّ خِـلٍّ وصِرْتُ مُخَاطِبًا صـورَ الخَيَـالِ

## ۞ بديع النثر

ولم تكن عائشة شاعرة فقط، وإنما كانت أيضًا ناثرة أديبة، وقد

شاركت في الدعوة إلى الاهتمام بـالمرأة، ولكـن طَهَّرتهـا مـن عيـوب دعوة السفور.

فكتبت مقالا بعنوان: (لا تصـلح العـائلات إلا بتربيـة البنـات) ونشرته في جريدة (الآداب) في جمادى الآخرة، عام ١٣٠٦هـ.

**تقول في مقدمتها:**

«إن منـاهج التربيـة ظـرف الكنـوز، وبحـدود مسـالك التأديـب مفاتيح كل جوهر مكنوز، فالواجب على كل ذي نفس كريمة أن يميل كل الميل إلى تلك السبل الفخيمة، ويحـث كـل عزيـز لـه أن يرتـع في مراتعها القويمة؛ ليحظى بتلك الجواهر اليتيمة».

وتعيب على نساء المدنية الحديثة الإسراف في الزينة دون الانتبـاه إلى واجباتها الأساسية فتقول:

«والعجب ثم العجب مـن مدنيـة تشـغف بتـزيين فتياتهـا بحلـي مستعار، وتستعين على إظهـار جمـالهن بزخـرف المعـادن والأحجـار، وتتخيل أنها زادتهم بَسْطَة في الحُسْـنِ والـدَّلال، والحـال أنهـا ألقـت تلـك الأحـداث في أخـدود الوبـال؛ لأنـه لم يعـد علـيهن مـن تلـك المسـتعارات إلا العجـب والغـرور، المـؤدي بهـن إلى سـاحة المباهـاة والفجور، وذلك لكف بصيرتهن عن الإدراك، وعدم علمهن بنتـائج الأحوال وعواقب الأمور»

ثم تدعو الرجال إلى الاهتمام البالغ بتربية البنات فتقول:

«فلو اجتهدت الهيئة الرجالية في حسن سلوكهن (أي البنات) بالتربية، لتتوجت تلك الغانيات من تلقائها بِيَوَاقِيتَها المعلومية، وتقلَّدت بلآلئ التفقه»

«فيا رجال أوطاننا لِمَ تركتموهن سدى، وهن بين أيديكم أطوع من قلم»

## ۞ إنتاجها

طبعت عائشة الكثير من أشعارها في ديوان أسْمته (حلية الطراز) باللغة العربية، وهذا مِنْ مفارقاتها؛ حيث أنها كانت تبغض هواية التطريز في طفولتها، فعوضتها بتطريز الكلمات شعرًا جميلا.

ثم صنفت كتابًا تحت عنوان (نتائج الأحوال)، وأخيرًا طبعت ديوان شعر باللغة التركية اسمه (مشكوفة).

## ۞ تلاميذها

أولهم أخوها (أحمد تيمور) الذي وُلِدَ سنة ١٢٨٨هـ؛ أي يصغرها باثنين وثلاثين عامًا، مات أبوه وعمره ثلاثة أشهر، فنشأ في كنف أخته عائشة التي أحسنت تربيته.

وتلقى مبادئ العلوم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب من علماء

عصره، فهو أديـب وباحـث ومـؤرِّخ، ومـن أعضـاء المجمـع العلمـي العربي.

ألف الكثير من الكتب؛ منها: (أسرار العربية) و (نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة).

توفي سنة ١٣٤٨هـ؛ أي بعد وفاة عائشة بثمانية وعشـرين عامًـا، ودفن بالقاهرة، ونقلت مكتبته العامرة إلى دار الكتب المصرية، وفيهـا نحو ١٨ ألف مجلد.

## ۞ وباحثة البادية

ملك حفني ناصف، المولودة سنة ١٨٨٦م؛ أي بعد عائشة بواحد وخمسين عامًا، وهي الأديبة الشاعرة الناثرة، ووضـح تأثرهـا الشـديد بعائشة؛ خاصة في معركتها لرفع شأن المرأة، والتي قادتها علـى نفـس منهج عائشة (العفاف والحجاب).

وماتت بعد عائشة بـ ١٩ عام، في سن ٣٢ سنة.

## ۞ وزينب يوسف فواز

التي كتبت ترجمة كاملـة عـن عائشـة في كتابهـا (الـدر المنثور في طبقات ربات الخدور) ومدحتها وبَيَّنَتْ مقامها وفضلها.

## ۞ وأمينة بنت محمد نجيب القاهرية

ولـدت سـنة ١٨٨٧م، وتوفيـت سـنة ١٩١٧م عـن سـن (٣٠)

عامًا، وهي شاعرة مطبوعة، وأديبة مجيدة، ظهر تأثرها بعائشة في شعرها ونثرها.

### ۞ مدح الأدباء لها

وقد قرظ كتبها الكثير من معاصريها؛ منهم الأديبة اللبنانية (وردة اليازجي) في رسائل متبادلة معها، وقد عقد لها الأستاذ (عباس محمود العقاد) فصلا في كتابه (شعراء مصر).

ويقول عنها: «وشعرها يعلو إلى أرفع طبقة من الشعر ارتفع إليها أدباء مصر في أواسط القرن التاسع عشر».

### ۞ الرحيل

في أحد أيام سنة ١٣٢٠هـ انقطع صوت عائشة التيمورية عن الإنشاد، ولحقت بربها عن سن يقارب أربعة وستين عامًا. (١)

(١) المراجع:
- (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) لزينب فواز العاملية، طبعة مصر ١٣١٢هـ.
- (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة التاسعة ١٩٨٩م.
- (حلية الطراز) ديوان عائشة التيمورية، لجنة المؤلفات التيمورية، مطبعة الكتاب العرب.
- (شاعرات العرب)، عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م.
- (نساء من التاريخ)، أحمد خليل جمعة. اليمامة، دمشق ١٩٩٧م.

# مراجــــع

١- ابن رجب (جامع العلوم والحكم) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت - ط ٣، ١٩٩١م.

٢- أخلاق الدعاة، طلعت عفيفي.

٣- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية.

٤- أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة التاسعة ١٩٨٩م.

٥- آفات على الطريق، للأستاذ: السيد نوح.

٦- اقتضاء العلم بالعمل، الخطيب البغدادي.

٧- الأخوات المسلمات، وبناء الأسرة القرآنية، لمحمد خيال، ومحمود الجوهري.

٨- الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د. أكرم رضا، البحث الحائز على جائزة وزارة الأوقاف القطرية العالمية عام ٢٠٠٠م.

٩- البداية والنهاية، لابن كثير.

١٠- الجامع لأخلاق الراوي، الخطيب البغدادي.

١١- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب فواز العاملية، طبعة مصر ١٣١٢هـ.

١٢- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي.

١٣- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، للدكتور يوسف القرضاوي.

١٤- امرأة مختلفة - درية شفيق، تأليف سنثيا نكسون، ترجمة أحمد سالم، المشروع القومي للترجمة (١١٥) المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٩م.

١٥- بهجة الناظرين، عبد الله آل جار الله.

١٦- تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة، الجزء الثاني، دار القلم – الكويت.

١٧- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الأندلس، بيروت، ط٧، ١٩٨٥م.

١٨- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر.

١٩- حلية الطراز، ديوان عائشة التيمورية، لجنة المؤلفات التيمورية، مطبعة الكتاب العرب.

٢٠- دليل مكتبة الأسرة المسلمة لعبد الحميد أحمد. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ط٢، ١٩٩٣م.

٢١- زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم.

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني.

٢٣- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي.

٢٤- شاعرات العرب، عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م.

٢٥- صفة الصفوة، لابن الجوزي.

٢٦- صور من حياة الصحابيات، للأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا.

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية - ١٩٨٥م.

٢٨- في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، ج ٦ ص ٣٩٣٨، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الحادية عشرة - ١٩٨٥م.

٢٩- كيف نتعامل مع التراث؟، للشيخ يوسف القرضاوي.

٣٠- معركة الحجاب، لمحمد أحمد إسماعيل.

٣١- موسوعة (سيدات بيت النبوة) لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

٣٢- موسوعة حياة الصحابيات - محمد سعيد مبيض، دار الثقافة - قطر - ١٩٩٠م.

٣٣- نساء من التاريخ، أحمد خليل جمعة. اليمامة، دمشق ١٩٩٧م.

# وانتظرن

الكتاب الرابع

**[ الحلال الطيب ]**

من هذه المجموعة، وهو برنامج عملي جيد، وزاد علمي وافر على طريق المرأة المسلمة إلى إدارة الذات؛ حيث ندعوها إلى أن تكون (قادرة على الكسب).

ولا تنسوا الحلقات الثلاث السابقة من حلقات المرأة وإدارة الذات:

**١- جددي السفينة.**

**٢- زينة المرأة حسن الخلق ج١**

**٣- زينة المرأة حسن الخلق ج٢**

**وانتظروا**

**بقية الحلقات**

محتويات

**الإهداء** ........................ ٥

محتويات الكتاب ........................ ٧

**مقدمة** ........................ ٩

**مدخل**: معنى الثقافة وأهميتها ........................ ١١

## الباب الأول
## محو الأمية الدينية
## أسس ومبادئ ثقافة الفكر

**الفصل الأول: معنى الدين** ........................ ٣١

أولاً: الدين طاعة إله ........................ ٣١

ثانيًا: الدين الخالص ........................ ٣٢

ثالثاً: الدين الحق ........................ ٣٣

رابعًا: الدين القيم ........................ ٣٥

خامسًا: دين الأنبياء ........................ ٣٩

سادسًا: الميثاق الغليظ ........................ ٤٠

سابعًا: الإسلام ........................ ٤١

ثامنًا: لا إله إلا الله ........................ ٤٤

تاسعًا: غير الإسلام ........................ ٤٤

الفهرس

عاشرًا: إن الدين عند الله الإسلام .................... ٤٦
الحادي عشر: الدين إيمان وعمل .................... ٤٧
الثاني عشر: مفهوم الدين ومكوناته .................... ٥١
**الفصل الثاني: معنى الإسلام** .................... ٥٧
أولاً: ما هو الإسلام؟ .................... ٥٨
ثانيًا: جميع الأعمال الظاهرة داخلة في الإسلام .......... ٥٩
ثالثًا: الدين إيمان وإسلام .................... ٦١
رابعًا: الإسلام علانية والإيمان في القلب .............. ٦٣
خامسًا: الإسلام طاعة وحب .................... ٦٧
سادسًا: الإسلام عبادة .................... ٦٩
**الفصل الثالث: دورك كإنسانة وواجبك نحو الدين.** .... ٧٣
أولاً: الإنسان خليفة .................... ٧٣
ثانيًا: أدوات الاستخلاف .................... ٧٤
ثالثاً: غاية الدور الإنساني .................... ٧٦
رابعًا: واجبك نحو الدين .................... ٧٨
خامسًا: الواجب الأول: ادخلوا في السلم كافة ......... ٧٩
سادسًا: الواجب الثاني: التبليغ وتبعاته .............. ٨١

**الفصل الرابع: أن تدركي أن الإسلام دين شـامل وأنـه منهج حياة** ........................ ٧٩
أولاً: العقيدة شاملة ........................ ١٠٠
ثانياً: العبادة شاملة ........................ ١٠١
ثالثاً: الأخلاق شاملة ........................ ١٠٢
رابعًا: الشريعة شاملة ........................ ١٠٣
خامسًا: الالتزام شامل ........................ ١٠٤
سادسًا: الإسلام منهج حياة ........................ ١٠٧
**الفصل الخامس: أن تفهمي ما يحاك للإسلام** ........................ ١١٣
قذائف الباطل ........................ ١١٧
القذيفة الأولى: مرقص فهمي ........................ ١١٧
القذيفة الثانية: قاسم أمين ........................ ١١٨
القذيفة الثالثة: مجلة السفور ........................ ١١٨
القذيفة الرابعة: الاتحاد النسائي ........................ ١١٩
القذيفة الخامسة: المؤتمر النسائي العربي ........................ ١١٩
القذيفة السادسة: الحزب النسائي ........................ ١٢٠
القذيفة السابعة: حزب بنت النيل ........................ ١٢٠
القذيفة الثامنة: مظاهرة الجامعة الأمريكية ........................ ١٢٢

## الباب الثاني
## أركان ثقافة الفكر


طب العلم فريضة .................................... ١٣٥

**الفصل الأول: الثقافة الشرعية**........................ ١٣٩

المكتبة المنزلية: ................................. ١٤٠

أولاً: في القرآن الكريم .............................. ١٤١

ثانياً: في السنة المطهرة ............................. ١٤٤

ثالثاً: في العقائد .................................. ١٤٨

رابعًا: فقه العبادات والمعاملات........................ ١٥١

خامسًا: في السيرة النبوية ............................ ١٥٥

سادسًا: في التاريخ الإسلامي .......................... ١٥٧

سابعًا: في التزكية ................................. ١٥٩

**الفصل الثاني: ثقافة الحياة** .......................... ١٦٣

١ - الثقافة الأسرية ................................ ١٦٤

٢ - الثقافة المتخصصة ............................. ١٦٥

٣ - الثقافة العامة ................................. ١٦٧

## الباب الثالث
## ضوابط ثقافة الفكر

أخلاق اللسان والقلب ........................ ١٧٤
**الفصل الأول: واجبات وآداب طلب العلم** ............ ١٧٥
الواجب الأول: الحرص على طلب العلم ............ ١٧٨
الواجب الثاني: الصبر وتحمل المشاق في طلب العلم ... ١٧٩
الواجب الثالث: طلب أنفع العلم .................. ١٨٢
الواجب الرابع: الحرص على طلب العلم على يد العلماء.. ١٨٢
الواجب الخامس: الحرص على العمل بالعلم. .......... ١٨٣
الواجب السادس: الحذر من آفة الرياء بالعلم ......... ١٨٤
**الفصل الثاني: ركائز فقه الاختلاف** ................. ١٨٩
من أسباب الاختلاف.............................. ١٨٩
**اختبار (حول المرأة المثقفة)**........................ ١٩٧
نصائح ثقافية ..................................... ٢٠١
**الخاتمة** ........................................... ٢٠٥
**ضيفة الشرف (عائشة التيمورية)** .................... ٢٠٧
الفهرس ........................................... ٢٣٥

# مؤلفات د. أكرم رضا مرسي

**الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**:(البحث الفائز بجائزة مكتبة الشيخ / علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية، وزارة الأوقاف - قطر، لعام ١٤٢١ هـ، الموافق ٢٠٠٠م)، تم ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية.

**سلسلة «أولادنا»**:

١ - بلوغ بلا خجل.

٢ - مراهقة بلا أزمة: الجزء الأول «ترويض العاصفة».

٣ - مراهقة بلا أزمة: الجزء الثاني « فنون تربوية ».

٤ - شباب بلا مشاكل: الجزء الأول « رحلة من الداخل».

٥ - شباب بلا مشاكل: الجزء الثاني «خصوصيات البنات» (تحت الطبع).

٦ - شباب بلا مشاكل: الجزء الثالث «ويسألوني».

**سلسلة «إدارة الذات»**:

٧ - إدارة الذات: «دليل الشباب إلى النجاح».

٨ - بلا ندم: «كيف تحل مشكلاتك وتتخذ القرار الفعّال؟».

٩ - لقاء الجماهير: «برنامج الحديث الإقناعي وفن توصيل المعلومات».

١٠- برنامج تدريب المدربين: «كيف تكون مدربًا مؤثرًا».

١١- متعة النجاح: «حتى نعلم معنى السعادة».

**سلسلة «المرأة وإدارة الذات»**:

١٢- جددي السفينة: «منطلقات القوة والصحة والجمال».

١٣- زينة المرأة حسن الخلق ( الجزء الأول ).

١٤- زينة المرأة حسن الخلق ( الجزء الثاني ).

١٥- درة التاج الثقافة:«كيف تكونين مثقفة فكرًا وعملاً وسلوكًا؟».

١٦- الحلال الطيب: «مسئوليات المرأة نحو العمل والكسب».

**سلسلة «بيوتنا وإدارة الذات»**:

١٧- أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا «حوارات مع الزوجين».

١٨- بالمعروف «حتى يعود الدفء العاطفي إلى بيوتنا».

١٩- على أعتاب الزواج (مهارات الاختيار والخطبة).

٢٠- كيف تبنين بيتًا سعيدًا؟ (دور الزوجة).

٢١- بيوتنا في رمضان.

٢٢- بيوت بلا ديون (كيف تضبطون ميزانية بيوتكم؟).

٢٣- قواعد تكوين البيت المسلم «أسس البناء وسبل التحصين».

**كتب أخرى**:

٢٤- أبو مازن: «حياته وحوارات معه مع مجموعة الأناشيد الكاملة».

٢٥- وذكرهم بأيام الله: «ستة أيام من أيام الله».

٢٦- نظرات في الطب النبوي: «دراسة صيدلانية حول العقاقير النبوية».

٢٧- اعمل بنفسك جدول المذاكرة.

# هذا الكتاب

هو الكتاب الثالث فى هذه المنظومة المباركة من سلسلة ( المرأة وإدارة الذات ) .

ندعوها أن تكون ( مثقفة الفكر ) ، حيث سيكون مجال سعينا هو عقلها ، نرتّب وننظّم ، ونضع الضوابط ، لنصل به إلى الثقافة ، ثم العلم ، ثم الفَهْم والفقه .

ونعود لنذكر أن خطابنا للمرأة المسلمة ينبع من إيماننا بأنها الركن الأساسى فى مسيرة الانطلاق ، وحجر الزاوية فى بناء المجتمع المسلم الذى نرجوه ، وأن كل دور من أدوارها فى الحياة يحتاج منا إلى صيانة ورعاية .

وينبع - أيضًا - من اعترافنا بأننا قصّرنا فى حقّها كثيرًا ، وجعلنا من العادات والتقاليد - البعيدة عن روح شريعتنا - جدرانًا حالت بينها وبين الانطلاق ، فلما دَبَّ الضعف فى حارسها الأحمق حُطِّمت الجدران فتلقفتها أيدى الذئاب ، فأصبحوا رعاتها .. ويا ويلنا عندما ترعى الذئاب الغَنم ، ويا ويلنا عندما يدب الضعف فى جسد راعيها الذى غفل مِنْ قبل عن حقِّ رعايتها .

والنتيجة تتحدث مَنْ حولنا فى أجيال من النساء ، إذا لم ندركها فلن ينفع الندم . من أجل ذلك كله كان خطابنا للمرأة ، وكانت دعوتنا لها أن تبدأ فى ( إدارة الذات ) .

نرجو الله أن يتقبله وأن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية

وهو الهادى ، والموفق إلى صراطه المستقيم

**المؤلف**

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com